

المجلد

اللهم اجعلنا جنباً

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد



# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

November 2016

نوفمبر ٢٠١٦

العدد السادس - المجلد الثاني والستون - صفر الخير ١٤٣٨ هـ

## ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في المقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهج الدراسة خاضع لقاموس التغيير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجدد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه، ويختلف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

(الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوبي (رحمه الله))

## أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية  
الأستاذ محمد الحستي رحمه الله تعالى  
في عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

## رئاسة التحرير

سعید الأعظمی الندوی  
واضح رشید الندوی

## مساعداً التحرير:

محمد فرمان الندوی  
محمد عبد الله الندوی

# البعث الإسلامي

## مؤسسة الصادقة والنشر

ص.ب. ٩٣ - لكناو (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٣١ - ٢٧٤١٢٢١ - ٥٢٢

**AL-BAAS-EL-ISLAMI**

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,  
Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231  
Mob: 9889336348 Email: albaas1955@gmail.com

## محتويات العدد

العدد السادس - المجلد الثاني والستون - صفر الخير ١٤٣٨ هـ

<p>٣ سعيد الأعظمي الندوبي</p> <p>١٨ سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الندي د/ راشد عبدالله الفرحان</p> <p>٢٥ الشيخ الطاهر بدوي الجزائري</p> <p>٢٧ الأخ محمد رياض . ك</p> <p>٣٤ زواج المسلم بالكتابية في العصر الحاضر فضيلة الشيخ مصطفى عبد القدوس الندوبي</p> <p>٤٢ العالمة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي</p> <p>٥١ د . محمود حافظ عبد الرحيم مرتا</p> <p>٦٢ الأستاذ محمد نور الزمان الندوبي</p> <p>٧٣ د . ثمامنة فيصل بن أبي المكارم</p> <p>٨٠ الباحثة زرفشان خان</p> <p>٨٦ الأستاذ محمد واخضع رشيد الحسني الندوبي</p> <p>٩٠ محمد فرمان الندوبي</p> <p>٩٢ محمد معصوم سيفي الندوبي</p> <p>٩٣ محمد حمزة</p> <p>٩٤ فضيلة الشيخ الفتى محمد ظهور الندوبي إلى رحمة الله تعالى سعيد الأعظمي الندوبي</p> <p>٩٧ الأستاذ الشیخ عزیز الرحمن الندوی السیوانی فی ذمۃ اللہ تعالیٰ قلم التحریر</p> <p>٩٧ " الشیخ مقبول احمد القاسمی الالہ آبادی فی ذمۃ اللہ تعالیٰ "</p> <p>٩٨ " " الأستاذ محمد شفیع خان والد الدكتور رضی الاسلام الندوی إلى رحمة الله تعالى "</p> <p>٩٨ " " والدة الأستاذ محمد فيضان الندوی التغرامی إلى رحمة الله تعالى "</p> <p>٩٩ " " رحیل محمد کاشف ابن اخ الشیخ کفیل اشرف إلى رحمة الله تعالى "</p> <p>٩٩ " " الحاج قطب الدین والد الأخ شیراز الدین فی ذمۃ اللہ تعالیٰ "</p> <p>٩٩ " " رحیل الشیخ مریم جدة الشیخ محمد حذیفۃ الوستانوی إلى رحمة الله تعالى "</p> <p>١٠٠ " " والدة الأخ الشیخ عبد الله التیفانی المکی إلى رحمة الله تعالیٰ "</p> <p>٩ فضیلۃ الشیخ محمد إسلام القاسمی فی ذمۃ اللہ تعالیٰ</p>	<p>﴿الافتتاحية﴾ : رحلة قصيرة من العهد القديم إلى عصر جديد ١</p> <p>﴿التوجيه الإسلامي﴾ : الإعجاز القرآني جوانب بلاغية في سورة البقرة</p> <p>﴿الدعوة الإسلامية﴾ : وإنك لعلى خلق عظيم أهمية الأمثل في اللغة العربية : تقويم بلاغي لأمثال القرآن</p> <p>﴿الفقه الإسلامي﴾ : دراسات وأبحاث أدبية وتاريخية : أخذية جزيرة العرب وموازتها الاتجاه الرومانسي في شعر غازي القصبي بنت الشاطئ ونظريتها في النقد الأسلوبية بين جذورها العربية ومفاهيمها الغربية</p> <p>﴿رحلات وأحاديث﴾ : الهند وتقاليدتها الاجتماعية في رحلة ابن بطوطة</p> <p>﴿صور ووضع﴾ : الوحدة الإسلامية هي الحل الوحيد للأزمات المعاصرة</p> <p>﴿إلى الإسلام من جديد﴾ : حسبنا الله ، ونعم الوكيل</p> <p>﴿قرأت لك﴾ : محاضرات في فن التدريس الرحلات الحجازية ومناهج كتابتها في العصر الحديث</p> <p>﴿عالم فقدناه﴾ :</p> <ol style="list-style-type: none"> <li>١. الأستاذ الشیخ عزیز الرحمن الندوی السیوانی فی ذمۃ اللہ تعالیٰ</li> <li>٢. الشیخ مقبول احمد القاسمی الالہ آبادی فی ذمۃ اللہ تعالیٰ</li> <li>٣. الأستاذ محمد شفیع خان والد الدكتور رضی الاسلام الندوی إلى رحمة الله تعالى</li> <li>٤. والدة الأستاذ محمد فيضان الندوی التغرامی إلى رحمة الله تعالى</li> <li>٥. رحیل محمد کاشف ابن اخ الشیخ کفیل اشرف إلى رحمة الله تعالى</li> <li>٦. الحاج قطب الدین والد الأخ شیراز الدین فی ذمۃ اللہ تعالیٰ</li> <li>٧. رحیل الشیخ مریم جدة الشیخ محمد حذیفۃ الوستانوی إلى رحمة الله تعالى</li> <li>٨. والدة الأخ الشیخ عبد الله التیفانی المکی إلى رحمة الله تعالیٰ</li> <li>٩. فضیلۃ الشیخ محمد إسلام القاسمی فی ذمۃ اللہ تعالیٰ</li> </ol>
---	--

## رحلة قصيرة من العهد القديم إلى عصر جدید

تحدث القرآن عن رحلة الشتاء والصيف التي كانت أليف قريش في الجاهلية ، ولكنها لم تكن مأمونة وبعيدة عن الأحداث والأخطار ، إلا أن حاجة الحياة من اللباس والغذاء وال حاجيات ، كانت مربوطة بهذه الرحلات التي كانوا لا ينفكون عنها رغم توافر العوامل القرصنية ، لأنها كانت حاجة أساسية أكيدة لبقاء أصلاب الحياة ، وكونها من أوحد الوسائل للتتبادل التجاري والتواصل الاجتماعي ، وإن كانت مليئة بمخاوف من النهب والسلب .

ولما جاء الإسلام وأتي من خلاله الأمن والسلام وتنفس الناس الصعداء ، ونالت القوافل التجارية والرحلات الشتوية والصيفية نعمة الأمن والعافية هدأت النفوس ، ومن المعلوم أن قريشاً كانت تقوم بالرحلة إلى اليمن في الشتاء ، وفي الصيف إلى الشام ، للحصول على الرزق من كل نوع ، ولكن كان يصاحبها الخوف من الغارات والاختطافات يوم ذاك ، ولما حدث حادث أصحاب الفيل ورأى الناس وسمعوا عن مصير أبرهة وحرمة البيت وصيانته من ربه ، خفت الأخطار وبدأ العرب حينما سمعوا بما فعل رب البيت بالعدو الذي كان قد جاء لهم البيت ، تزايدت حرمتهم لدى جميع العرب ، ودخل في قلوبهم الشعور بالتآخي والاجتماعية الأخوية وأصبحت الطرق كلها مأمونة من المخاوف والمخاطر ، وظهرت آثار أمن القوافل التجارية ، والحياة الآمنة ، بغاية من الوضوح ، وذلك بعد ما استجاب الله سبحانه دعاء خليله إبراهيم عليه السلام : (رب اجعلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ التَّمَرَاتِ) .

أنتجت دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام طلوع شمس الإسلام المشرقة في بلد الله الحرام وبالتالي في الجزيرة العربية فكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته الناس للاهتداء إلى دين الله تعالى قنطرة للعبور من شقاء الجاهلية إلى سعادة الإسلام ، وإن كان ذلك عملاً شاقاً في أول الأمر ، وظلت الدعوة إلى الدخول في دين الله مستمرة ، تارة في الخفاء وأخرى بظاهر من الدين والتباين وبحكمة من إعداد التراب بدون إعلان ، وقد امتدت إلى مدة ثلاثة عشر عاماً مليئة بالمعاناة من كل نوع ، وفي خلال ذلك تعمقت جذور الدعوة إلى دين الله في أرض الجزيرة حتى

آذن الله تعالى بالهجرة ، وهمس في آذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يعد لذلك ويخرج نحو مهجره في خفاء ، وتم ذلك بإذن الله تعالى مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد تهيات جماعة المسلمين ممن كانوا قد سعدوا بالدخول في دين الله ، لاستقبال النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب ، وهنالك غنت الجواري فرحاً بوصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة :

طلع البدر علينا

وجب الشكر علينا

وقد امتلأت قلوبهم بحبه صلى الله عليه وسلم ، وغشى أجواء المدينة أفراح أعياد لا مثيل لها في تاريخ العالم ، وصارت عاصمة الدولة الإسلامية الأولى .

ومن ثم انقلب الأوضاع رأساً على عقب ، وشهد المجتمع المدني أثارة من انقلاب في كل شيء ، في العادات والتقاليد ، في أساليب الحياة ، في التواصل الاجتماعي وفي صبغة الحياة على عكس ما كانت عليه قبل وصيفته في قالب افسلام مأة في المائة ، فإذا بالإسلام يتمثل في كل شيء ، الإسلام الحي الأصيل ، إسلام العمل والإيمان الكامل ، وأصبحت الحياة بكمالها خاضعة إرادة الله تعالى مصبوغة بصبغة الله وشرعيته ، حتى تغلبت على كل لون و شأن ، ولم يعد لأهواء النفس ولا للشيطان أي منفذ .

ذلك هو الإسلام الكامل الذي يشربه الله سبحانه في كتابه العزيز و قال : (اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم علىكم نعمتي ورضيتك لكم الإسلام ديناً ) ، وقد عاش العالم البشري تحت ظلال طبيعة الإسلام وأدرك لذة العيش وطعم الحب والحنان وأصبح المسلمون كلهم كجسد واحد إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وعلى هذه النقطة الأساسية عاش الناس وتركزت عليها الحياة فامتلا العالم كله بالحب والعطف وجميع محاسن الإنسانية والفضائل الخلقية ، وتم الانقلاب الإسلامي الذي كان محور الإنسان والكون والحياة إلى يوم الدين .

وكلما عاش العالم البشري حول ذلك ساد فيه الأمن والسلام ، ونالت العدالة الاجتماعية طريقها نحو المجتمعات البشرية في كل مكان وزمان ، وذابت الفروق بين الأجناس والألوان والديار والأوطان ، وما قصة

سيادة الإسلام وقيادة خير الأمة للإنسانية ببعيدة أو مجهولة ، فقد أثمرت هذه القيادة ثماراً يانعة جنية ، وانتشر دين الله برسالة السماء ، وقامت الدول الإسلامية على وجه الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وذاق الإنسان لذة الحياة من خلال وحدة الإله ، ووحدة الكلمة اللتين تمثلتا في إسلام المرأة ، وزالت الحدود والثور بـ بين الأجناس والأوطان ، وأصبح العالم كله حياً من الأحياء ، وانكمشت جميع الحاجيات في مكان واحد ، بحكم التوادد والتراحم والتعاطف الذي أكـرم به الإنسان من حيث الطبيعة التي تسـبـعـمـعـ طـبـيـعـةـ الدـيـنـ .

وهكـذا أتمـ اللهـ سـبـحانـهـ نـعـمـةـ إـلـيـسـلامـ عـلـىـ إـلـيـسـانـ وهـيـ النـعـمـةـ الدـائـمـةـ القـائـمـةـ الـخـالـدـةـ الـبـاقـيـةـ إـلـىـ يـوـمـ الدـيـنـ ،ـ مـهـمـاـ تـطـورـتـ وـسـائـلـ الـعـلـمـ وـالـحـكـمـةـ ،ـ وـنـشـأـتـ حـضـارـاتـ مـادـيـةـ تـلـهـيـ الـرـءـوـءـ عـنـ أـدـاءـ وـاجـبـهـ ،ـ أـوـ تـشـفـلـهـ بـسـفـافـسـ الـأـمـوـرـ وـبـالـرـذـائـلـ الـخـلـقـيـةـ ،ـ كـمـاـ كـانـ الشـأـنـ فـيـ بـعـضـ أـجـزـاءـ الـعـالـمـ الـتـيـ تـتـأـرـجـحـ بـيـنـ الـرـبـيعـ وـالـخـسـارـةـ وـتـمـارـسـ الـجـرـائمـ مـنـ كـلـ نـوعـ ،ـ خـالـعـةـ لـبـاسـ الـحـشـمـةـ وـالـحـيـاءـ مـشـفـولـةـ بـمـبـاـيـعـ كـرـامـةـ الـبـشـرـ وـتـسـفـلـ إـلـىـ أـسـفـلـ درـجـةـ إـلـبـاهـمـ :ـ (ـ لـهـمـ قـلـوبـ لـاـ يـقـهـوـنـ بـهـاـ وـلـهـمـ أـعـيـنـ لـاـ يـبـصـرـوـنـ بـهـاـ وـلـهـمـ آذـانـ لـاـ يـسـمـعـوـنـ بـهـاـ أـوـلـئـكـ كـالـأـعـامـ بـلـ هـمـ أـضـلـ أـوـلـئـكـ هـمـ الـفـاقـلـونـ)ـ .

ما زـالـ إـبـلـيـسـ الـلـعـنـ المـطـرـودـ مـنـ عـنـ الـلـهـ تـعـالـىـ قـائـمـاـ بـعـهـدـهـ فـيـ قـطـعـ عـلـاقـاتـ النـاسـ عـنـ ذـاتـ اللـهـ تـعـالـىـ ،ـ وـفـيـ دـفـعـهـمـ إـلـىـ اـرـتكـابـ الـمـعـاصـيـ وـكـفـرـانـ النـعـمـةـ وـتـزـيـنـ السـيـئـاتـ لـهـمـ وـإـغـوـائـهـمـ عـنـ الـطـرـيقـ الـمـسـتـقـيمـ ،ـ وـلـنـقـرـأـ الـحـوارـ الـذـيـ جـرـىـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـرـبـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ ،ـ يـوـمـ خـلـقـ آدـمـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ مـنـ صـلـصـالـ مـنـ حـمـاـ مـسـنـونـ ،ـ وـأـمـرـهـ بـالـسـجـودـ لـهـ مـعـ الـمـلـائـكـةـ وـلـكـنـهـ أـبـيـ وـتـكـبـرـ :

(ـ وـإـذـ قـالـ رـبـكـ لـلـمـلـائـكـةـ إـلـىـ خـالـقـ بـشـرـاـ مـنـ صـلـصـالـ مـنـ حـمـاـ مـسـنـونـ .ـ فـإـذـاـ سـوـيـتـهـ وـنـفـخـتـ فـيـهـ مـنـ رـوـحـيـ فـقـعـوـاـ لـهـ سـاجـدـينـ .ـ فـسـجـدـ الـمـلـائـكـةـ كـلـهـمـ أـجـمـعـونـ .ـ إـلـاـ إـبـلـيـسـ أـبـيـ أـنـ يـكـوـنـ مـعـ السـاجـدـينـ .ـ قـالـ يـاـ إـبـلـيـسـ مـاـ لـكـ أـلـاـ تـكـوـنـ مـعـ السـاجـدـينـ .ـ قـالـ لـمـ أـكـنـ لـأـسـجـدـ لـبـشـرـ خـلـقـهـ مـنـ صـلـصـالـ مـنـ حـمـاـ مـسـنـونـ .ـ قـالـ فـأـخـرـجـ مـنـهـاـ فـإـلـكـ رـجـيمـ .ـ وـإـنـ عـلـيـكـ الـلـعـنةـ إـلـىـ يـوـمـ الدـيـنـ .ـ قـالـ رـبـ فـأـنـظـرـنـيـ إـلـىـ يـوـمـ يـعـثـونـ .ـ قـالـ فـإـلـكـ مـنـ الـمـنـظـرـينـ .ـ إـلـىـ يـوـمـ الـوقـتـ الـمـعـلـومـ .ـ قـالـ رـبـ يـمـاـ أـغـوـيـتـيـ لـأـرـيـنـ لـهـمـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـأـغـوـيـنـهـمـ أـجـمـعـينـ .ـ إـلـاـ عـبـادـكـ مـنـهـمـ الـمـخـاصـرـينـ .ـ قـالـ هـذـاـ صـرـاطـ

علىًّا مُستقيمٍ . إنَّ عبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْفَاوِينَ . وإنَّ جَهَنَّمَ لِمَوْعِدِهِمْ أَجْمَعِينَ ) ( سورة الحجر : ٢٨ - ٤٣ ) .

وإن ما نراه اليوم من الفتن وعوامل الفساد في الأرض في كثير من أجزاء العالم الإسلامي ليس إلا نتاج ما تعهد به إبليس من التزوير والإغواء ، وقد تعامل مع المجرمين المفسدين في الأرض ، وساعدهم على ما يقومون به من تصفية المجتمعات الإسلامية ومحو وجودها وأثارها من بلدانهم وأوطانهم ، وتحقيقاً لهذا الحلم النجس قاموا بتربية أناس سموا أنفسهم مسلمين ، وزعموا أنهم من ينتسبون إلى التاريخ الإسلامي القديم وهم ينفذون حكم الإسلام في المرتدين عن الدين بقطع أعناقهم من غير هواة إذا وجدوا جماعة أو فرداً خرجوا عن الدين واعتقوها بالردة - كما زعموا - وفعلاً ظهرت هذه الطائفة فجأة في بعض الدول الإسلامية وفي العراق وسوريا ، وأعلنت بإقامة الدولة الإسلامية في العراق والشام ، ومن ثم تسنى لهؤلاء المفسدين في الأرض أن يقوموا بدعاية كاذبة ضد الشعب المسلم في هاتين الدولتين أنه يدين بالإرهاب وهو يعرف باسم ( داعش ) الذي يتريص الفرص لقتل الناس وعنه من الوسائل المادية من الأموال والأسلحة والثروات الإنسانية في كثرة كاثرة ، فلا بد من سد هذه الموجة العارمة من الإرهاب بأي طريق ممكن ، ولكن الواقع الحق أنهم يستعملون هذه الألعوبة للتتدريب على تصفية الوجود المسلم من الأرض وتخليلها للهدميين والمفسدين في الأرض .

نرى أن الصحافة الحاضرة اليوم مليئة بأنباء الهجمات والتفجيرات وشن الغارات على العراق والشام بوجه خاص لتحقيق أهدافهم ضد الشعب المسلم باسم مقاومة الإرهاب ، ويباغتون معظم مناطق السكان المسلمين ، ويستهدفون عاصمة العراق وبهدافون منها بأساليب سرية ، وفي سوريا يضطرون أهلها المسلمين امتنالاً لأوامر رئيسها العاجز الخاضع ..... أمام قوات الفساد والتغريب إلى هجر أوطنهم وديارهم ، حتى حدث فيما ما يعرفه العالم كله من فرار متتسارع إلى جهات مجھولة من الصحاري والبحار والاتجاه إلى عدد من البلدان والدول الأجنبية التي ضيقت عليهم الخناق ، الأمر الذي ذهب ضحيته عدد ضخم لا يأتي عليه الحصر من هؤلاء التاركين لأوطانهم ، وما حدث ويحدث في حلب الشام فحدث عن تدميرها وتصفيتها من أرض الواقع بأي أسلوب شئت ولا حرج .

ولنترك الآن العراق والشام ولنأت إلى فلسطين ، وما يدرك ما يقوم به العدو الصهيوني فيها ضد السكان المسلمين ، وكيف يجري فيها الدم المسلم أنهاراً من غير رحمة وهوادة ، وكيف ينتهك فيها المحارم ، ويقتل فيها الشباب والنساء والشيخ والأطفال ، ويلعب بأعراضهم وتُتَهَب ممتلكاتهم ، وتُنهَم مساجدهم ومدارسهم ومنازلهم ، ولا يتم ذلك لوقت معلوم أو موعد مفعول ، إنما هي عادات مستمرة ليل نهار ، صباح مساء . هذا المشروع التدميري وإبادة مراكز الأمة الإسلامية ينفذ الآن في كثير من الدول التي غالبيتها مسلمون وإن كانت السرحيات تختلف ، وطرق التفعيل تعدد ، ولكنها تتطلب هدفاً واحداً ، وهو تجريد القلوب من الإيمان الراسخ بالله سبحانه وتعالى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقريع العقول من العقيدة والسعى للأخرة ونعمها ، ومن الاستقامة على الحق ، فلا يبالي بناء هذا المشروع بما إذا كثُر عدد المسلمين اسمياً ورسمياً ، وصورة وشارأة ، ويتجاوز ربع سكان العالم ما دام المشروع في حكم التنفيذ ، وأصحابه يمهدون لهم الطريق نحو العيش في هذه الدنيا في رفاهية وراحة .

إنها حرب عوان طويلة المدى ، وهي تستمر إلى ماشاء الله تعالى ، حتى يعود المسلمون بمشيئته تعالى إلى سابق تاريخهم ، وصالح أعمالهم ، وحالص دينهم ، إلى عهدهم القديم الأول وإلى عهد الخلافة الإسلامية التي هي النموذج الكامل الخالد للإنسان إلى يوم الدين ، فما هو المانع عن العودة إلى تاريخنا التليد ، وما هو العائق لتمثيل عهدهنا السابق القديم في هذا العهد الجديد ، والدين هو الدين ، والإيمان هو الإيمان ، وكتاب الله هو كتاب الله تعالى ، وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته هي التعاليم والسيرة المثالية .

فهلا عزمنا على هذه الرحلة اليسيرة من القديم إلى عهدهنا الجديد ، يقول الله سبحانه وتعالى :

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْقَيْمَحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَتَسْبِحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَةً إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا) .  
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوبي

١٠ / محرم / ١٤٣٨ هـ

٢٠١٦ / ١٢ / ٦٢ صفر الخير ١٤٣٨ هـ

## الإعجاز القرآني

بقلم : سماحة العالمة الشيخ السيد أبي الحسن الندوى ( رحمه الله )

لقد أدعى القرآن الكريم أنه معجزة وتحدى كل البشر الذين تتجلج نفوسهم في الإيمان به ، والاعتراف بأنه كتاب الله ، اقرأ هذه الآيات التالية :

( وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا تَرَنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَثُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّتْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) . ١.

( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَثُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّتْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) . ٢.

( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَثُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّنْ مُّتْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ) . ٣.

( قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْأَسْنَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمَثِيلٍ هَذَا الْقُرْآنُ لَا يَأْتُونَ بِمَثِيلٍ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَغْضِبُظْهِيرًا ) . ٤.

( قُلْ فَأَثُوا بِكِتَابٍ مِّنْ حِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَيْفَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمْنَ أَبْيَهُوَاهُ بَعْيَرِهُدَى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) . ٥.

مجالات الإعجاز القرآني :

لقد تحدى القرآن الكريم في هذه الآيات التي سقناها جموع المشركين والمرتابين المتردد़ين في أمره ، بأن يأتوا بمثله ، ولا يمكن أن

١ سورة البقرة : ٢٣ .

٢ سورة يومنس : ٢٨ .

٣ سورة هود : ١٣ - ١٤ .

٤ سورة بني إسرائيل : ٨٨ .

٥ سورة القصص : ٤٩ - ٥٠ .

يكون أي كلام مماثلاً للقرآن الكريم إلا إذا كان مثاله في جميع مجالات إعجازه وجميع مميزاته وخصائصه .  
وعلومنا أن القرآن ليس معجزاً في ألفاظه وتراسيمه ، وفصاحته اللغوية وبلاوغته المعنوية فحسب ، بل إنه معجز في ألفاظه ومفرداته ومركيباته ، معجز في معانيه ، ومحتوياته ، معجز في علومه ومعارفه ، معجز في غيبياته وحقائقه الأبدية ، معجز في تعليماته الدينية والخلقية والاجتماعية والمدنية ، معجز في تأثيره وإثارته ، ومعجز في نبوءاته وأخباره ، فإذا ظهر العجز من الإتيان بمثاله في ألفاظه وتراسيمه فحسب فكيف يا ترى بمثالته في جميع وجوه إعجازه ؟

وتطلعنا الآية رقم : (١٤) من سورة هود أن الخصيصة المميزة للقرآن وسر إعجازه المكنون يرجع إلى أنه : (أَنْزَلَ بِعِلْمٍ اللَّهُ فَهُوَ مَظَهُرٌ  
مِّنْ مَظَاهِرِ عِلْمِ اللَّهِ، وَعَكَسَ مِنْ عَكُوسِهِ، فَكَيْفَ يَجْرِيَهُ إِنْسَانٌ  
بِعِلْمِهِ الناقصِ الظَّنِّيِّ، الْقَاصِرِ الْمَحْدُودِ الْمَوْهُوبِ لَهُ كَرْضَحَةٌ مِّنْ رَضَحَاتِ  
الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ، فَإِذَا كَانَ هُوَ لَا يَمْاثِلُ رَبِّهِ فِي  
أَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ، فَكَيْفَ يَمْاثِلُهُ فِي عِلْمِهِ، وَهُوَ مِنْ أَخْصِ خَصَائِصِهِ  
وَصَفَاتِهِ :

(فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلْتِ بِعِلْمٍ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) .<sup>١</sup>

(أَنَّمَا أَنْزَلْتِ بِعِلْمٍ اللَّهِ) هي تلك النقطة المركزية التي تدل على أن الله - عز وجل - متعدد في صفة علمه كما هو متعدد في جميع صفات الألوهية ، لا ند له ولا نظير ، ولا شبيه ولا مثيل ، فكيف إذن وأنى يئتي بمثل الكتاب !؟

(وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَانَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ) .<sup>٢</sup>

وعلومنا أن (علم الله) لا ينحصر في ألفاظ وتراسيم الظاهر ، بل إنه أمس بمعانيه وحقائقه ومحتوياته ، وقد وصف القرآن الكريم نفسه بـ (قرآننا عربياً) و (لسان عربي مبين) و (كتاب مبين) وأمثاله

١ سورة هود : ١٤ .

٢ سورة الأعراف : ٥٢ .

من الأوصاف في متفرق آياته ، مما تشير إلى فصاحتها اللغوية ، وروعته البيانية ون الصاعته الأدبية .

( الرَّبُّكَ أَيَّاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَرْزَقْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعَلْكُمْ تَعْقِلُونَ ) .<sup>١</sup>

( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيًّا مُبِينٌ ) .<sup>٢</sup>  
وطلابهم القرآن الكريم في الآية رقم : ( ٤٩ ) من سورة القصص  
بأن يأتوا بكتاب أفضل من هذا الكتاب هداية وإصلاحاً وعلاجاً  
للقلوب :

( قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَتْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) .<sup>٣</sup>

فإن إعجاز القرآن إذن ليس منحصراً في فصاحتها اللغوية ، وببلغته  
المعنى وألفاظه المختارة وتراثه المنتقاة فحسب ، إنما هو جانب من  
جوانب إعجازه الكثيرة .

وان علماءنا البلاغيين المتقدمين كلما تأملوا في إعجاز القرآن أو  
ألفوا فيه غلب عليهم - لم يغدو العصر وللتذوق العرب البلياني وأهمية اللسان  
ودوره - هذا الجانب الخاص من إعجاز القرآن ، ولا غرو فقد أثبتوا فيه  
من دقة النظر وحسن الملاحظات وجمال الذوق ما يتفع به دائماً ، وأودعوا  
فيه عصارة ذكائهم وخلاصة فكرهم وتأملاتهم وقدموا لنا ثروة ضخمة  
في هذا الموضوع ، ليس من السهل الزيادة فيها ، وينبغي في هذا الموضوع  
ان يرجع إلى مؤلفاتهم ويستفاد منها .<sup>٤</sup>

١ سورة يوسف : ٢ - ١ .

٢ سورة النحل : ١٠٣ .

٣ سورة القصص : ٤٩ .

٤ يرجع لذلك عند الحاجة إلى التفصيل إلى كتاب ( إعجاز القرآن ) للعلامة أبي  
بكر الباقياني ، و ( إعجاز القرآن ) لابن العربي ، وللاختصار كتاب ( النك ) في  
إعجاز القرآن ( للرماني ) ، وكتب البلاغة والبيان الرائدة ، ومن الكتب القديمة فيها  
كتاباً ( دلائل الإعجاز ) و ( وأسرار البلاغة ) للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ومن  
كتب المتأخرین ( كتاب الطراز ) للأمير يحيى اليماني ، ويراجع من كتب التفسير  
( تفسير الحكشاف ) للعلامة جار الله الزمخشري ، ومن كتب التحو والمعانی والبيان  
كتاب ( الفوائد المشوقة للقرآن ) للحافظ ابن القیم ، وكتاب ( النبأ العظيم )

## أكبر مجالات الإعجاز القرآني وأولها ، الإسلام :

لقد قدم القرآن الكريم أمم العالم صحفة هداية أخيرة خالدة للدين والعقائد لم تسبق بصحفية أكثر منها إحكاماً وإتقاناً وتفصيلاً على وجه الأرض ، وقد كانت الديانات السابقة - لرسالتها المحدودة بعصورها القاصرة على شعوبها - وصحفها التي حملتها لم تبلغ نضجها وكمالها بالنسبة إلى هذه الصحيفة الأخيرة .

ولما أنها صحيفة ربانية سماوية وقد نزلت إلى الأرض ، فلم يبق سواها كتاب هداية وصحيفة إرشاد في الوجود ، ولا يمكن أن يتصور الإنسان صحيفة هدى ونور أكثر من هذه الصحيفة ربطاً للمخلوقين بالخلق ، وأعظم تزكية للنفوس ، وصفلاً للقلوب ، وأرفع الناس عن تهضُّضِ الضلالات والانحرافات التي وقعت فيها الشعوب ، ومنيت بها الأمم كما أنها وهبَت للحياة الإنسانية دستوراً مدنياً وخلقياً يضمُّن أفضل النتائج الخلقية والاجتماعية ، وقد حققتها فعلاً ومارسها ممارسة تطبيقية ، كما أنها تحل بطرقته المعجزة ولحاته المنيرة ، وإشاراته الطفيفة جميع قضايا الاجتماع وعقده ومشاكله التي تعرضت لها الإنسانية أو يمكن أن تتعرض لها في المستقبل إلى أن تقوم الساعة .

إنها تعطي تلك الكلمات والتصورات الأساسية التي يمكن أن يقوم عليها أي مجتمع أفضل في أي دور من أدوار التاريخ ، وتنظم الحياة الإنسانية في كل بقعة من بقاع الأرض من جديد .

إنها صحيفة إلهية ، ولذلك فهي برئَّة من الغلطات الإنسانية والسقطات البشرية ، وقصور التقنيين البشريين ، واختلاف القياسات البشرية ، إنها الصحيفة الأخيرة ، ولذلك فهي غنية عن كل زيادة وإنفاق وتكثيل ، إنها صحيفة عالمية شاملة ، ولذلك فهي فوق الحدود والحواجز العرفية ، إنها الصحيفة الدائمة ولذلك فهي محفوظة من كل نسخ وتغيير وتبدل ، إنها الصحيفة الكاملة ولذلك فهي في غير حاجة إلى ملحق وتنمية أو استدراك .

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْمَتُ عَلَيْكُمْ نُعْمَانِي وَرَضِيَتُ

للعلامة محمد عبد الله دراز ، وهو من العلماء المعاصرين ولكن كتابه يستحق الدراسة والاستفادة .

لكلّ الأسلام ديناً) .<sup>١</sup>

إن هذا القرآن إذا تم تطبيقه وتطبيقه عملياً لا يتعرض المجتمع لتلك المباحث المعقولة والمسائل الطريفة التي شفت عقول المفكرين ورجال الاجتماع البارعين آلافاً من السنين ، والتي لم ت تعرض حلولها الأخيرة الحاسمة بعد .

وكم من قضايا ومشاكل اقتصادية وسياسية لا يعرفها الإسلام ولا تنشأ في مجتمعه إطلاقاً ، وكم من حلول علمية وفكرية وصل إليها العقل البشري بعد تجارب آلاف من السنين ، كشف عنها النبي الأمي بكتاب ربه قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، إن هذا الدستور وهذه الصحيفة المرشدة الهادئة ، وهو الإسلام ، ليس إلا صنع العليم الحكيم ، ونموذجًا كريماً عاليًا من نماذج حكمته وعلمه وتقديره .  
(صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) .<sup>٢</sup>

وما كانت قواعد الإسلام وأصوله وكلياته مقتبسة من القرآن الكريم ، صادرة منه ، والقرآن هو الذي تقدم بها أمام الناس وعرضها عليهم ، فهي من إعجازه بل من أكبر معجزاته .

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمْمَيْنِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَّلَقَّهُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْيِ ضَلَالٍ مُّبِينٍ) .<sup>٣</sup>

إن بيان هذا الإعجاز القرآني ، والكشف عن وجهه ومناجيه يقتضي بيان الإسلام بجميع شعبه وأركانه الذي لا تسعه مكتبة ضخمة ، وسوف يرد شيء منها في موضعه ، فتركيبة المعجز في باب العقائد والتصورات ، وتمكيلها المعجز ، وشموله المعجز في الأخلاق والاجتماع ، وإحاطته المعجزة ، كل ذلك يدعو إلى التأمل الدقيق ، ولا يسع أي إنسان من البشر أن يحصي هذه الأسرار والحقائق ، ويستوعب جوانب الحسن والجمال والإتقان والإحكام .

(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا تَفَدَّتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .<sup>٤</sup>

١ سورة المائدة : ٣ .

٢ سورة النمل : ٨٨ .

٣ سورة الجمعة : ٢ .

٤ سورة لقمان : ٣٧ .

( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمَثْلِهِ مَدَاداً ) .<sup>١</sup>

المعجزة الثانية للقرآن علومه ومعارفه :

إن المعجزة الثانية للقرآن الحكيم هي تلك العلوم والمعارف الواسعة الشاملة والحقائق والأسرار الدقيقة اللطيفة التي تثبت في هذا الكتاب ، والتي تستحق كل واحدة منها أن تعد معجزة برأيها ، وكلما تطور علم الإنسان ، وبلغ مراحل النضج والاكتمال ، وانكشفت عنه حجب الجهل والغموض ، تجلى له جمال القرآن ، وروعته ، وإحاطته .

ولكن الذكاء البشري محدود النطاق ، ضيق الأفق ، لا يسع ضخامة محتويات القرآن ورحابة آفاقه المتزامنة ، ويكتفيه أن يدرك منه قدر ما يملا به وعاءه .

( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَائَةً فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَأِيَاً ) .<sup>٢</sup>

وإن هذه الوحدات المعجزة تحمل في طياتها جوانب عديدة من الإعجاز ، جانب الحتمية والقطعية والبدية في الحقائق القرآنية ، وهذه الحتمية والأبدية ، من خصائص العلم الإلهي ، وليس الشك والتضليل والاضطراب إلا من لوازم العلم البشري وخصائصه ، ولما أن القرآن الكريم محفوظ من لدن حكيم عظيم ، لذلك لا يتطرق إلى أبيديته واحتميته شيء .

خلط العلم البشري بالعلم الإلهي في الصحف الدينية القديمة :

إن صحف الديانات والكتب المقدسة فيها عندما تتعرض لسطو البشر وعبثهم وتحريفهم ، فإنها تدخل فيها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان - ما دام الله لم يتکفل بصحتها وحفظها - وتغزوها نظريات إنسانية ومهارات بشرية ، وما دام العلم البشري غير معصوم وغير حاسم رغم قصوره ونقصه فإن هذه الصحف - نتيجة تدخل هذا العلم البشري

١ سورة الكهف : ١٠٩ .

٢ سورة الرعد : ١٧ .

الناقص المحدود - تفقد قوّة استادها وقطعيتها وأبدية حقائقها وكمالياتها. والقرآن المحكم قطعي من ألفه إلى يائه ، لم تدخله آراء البشر ولا نظرياتهم ، ولم تكُن تمسه تحقّيقاتهم وتجاربهم ، ومهمماً ازدهرت العلوم والمعارف وبلغت من الرقي ما بلغت ، ومهمماً تطورت النظريات البشرية ، ومهمماً يثبت العلم أن الأرض هي محور الكون أو الشمس أو أنها مسطحة أو كروية ، وأن الكواكب معمورة أو لا ، وأن العوالم متعددة أو أنه ليس هناك إلا عالم واحد ، مهمماً يكن من ذلك أو غير ذلك فإن الحقائق القرآنية لا تتأثر ولا تتفصل ، إنها ليست النظام (البطليمي) الذي يتقوض من أساسه بالنظام (الكونفيكي).

هذا هو القرآن ، أما صحف العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل) فإنها لم تأمن غوايـل التحرـيف وسـطـو الآراء البشرـية ، إنـها قد غـزـتها النـظـريـاتـ والأـرـاءـ الـتيـ رـاجـتـ وـنـالـتـ القـبـولـ فـيـ الجـمـهـورـ فـيـ عـصـورـ الـظـلـامـ فـيـ أـورـياـ وـكـلـهاـ عـصـورـ الـظـلـامـ إـنـهاـ تـصـرـحـ بـأـنـ عمرـ هـذـهـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ سـتـةـ أـلـافـ سـنـةـ ، وـأـنـ الـأـرـضـ مـسـطـحـةـ مـسـتـوـيـةـ ، وـأـنـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ وـالـنـجـومـ تـدـورـ حـوـلـ الـأـرـضـ ، وـأـنـ الـأـرـضـ محـورـ الـكـوـنـ وـأـنـ غـيرـهـاـ مـنـ الـأـجـرـامـ الـفـلـكـيـةـ وـالـكـوـاـكـبـ السـيـارـةـ كـلـهاـ تـابـعـ لـهـاـ ، تـخـضـعـ لـسـلـطـانـهـاـ ، وـأـنـ الـعـمـرـانـ عـلـىـ الصـفـحـةـ الثـانـيـةـ مـنـ الـأـرـضـ نـسـتـحـيلـ ، وـذـلـكـ كـمـاـ يـقـولـ (أـغـسـطـينـ)ـ :ـ لـأـنـهـ لـمـ يـذـكـرـ أـحـدـ مـنـ أـلـاـدـ آـدـمــ عـلـيـهـ السـلـامــ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ الـذـيـ يـعـيـشـ فـيـ الجـهـةـ الثـانـيـةـ مـنـ الـأـرـضـ ، كـمـاـ أـنـ الدـلـلـ الـأـكـبـرـ عـلـىـ اـمـتـاعـ أـنـ تـكـوـنـ الـأـرـضـ كـرـوـيـةـ الشـكـلـ هـوـ أـنـ النـاسـ كـيـفـ يـرـوـنـ رـيـبـهـمـ يـوـمـ الـحـشـرــ لـوـ كـاـنـ الـأـمـرـ كـذـلـكــ يـنـزـلـ عـلـيـهـمـ مـنـ السـمـاءـ ١٦ـ .ـ

إنـ هـذـاـ التـارـيـخـ وـالـعـلـمـ (ـالـمـلـهـمـ)ـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـ عـصـرـ الـمـؤـلـفـينـ وـالـشـارـحـينـ لـلـكـتـبـ الـمـقـدـسـةـ هـذـهـ ، عـلـمـاـ مـطـابـقاـ لـتـحـقـيقـاتـهـمـ وـكـشـوفـهـمـ الـمـقـرـرـةـ الـمـعـرـوـفـةـ وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ لـازـمـةـ الـثـبـوتـ وـالـصـحـةـ ، لـقـدـ كـانـتـ هـيـ مـرـحـلـةـ مـنـ مـرـاحـلـ الـعـلـمـ الـبـشـريـ ، وـالـإـنـسـانـ لـمـ يـزـلـ وـلـاـ يـزـالـ يـقـطـعـ أـشـواـطـهـ فـيـ الـعـلـمـ وـلـاـ تـقـطـعـ عـصـاـ التـسـيـارـ وـلـاـ يـلـقـيـ بـهـاـ .ـ

إـنـ كـلـمـاـ يـتـقـدـمـ يـخـلـفـ وـرـاءـهـ تـلـكـ الـمـرـحـلـةـ الـتـيـ يـرـاهـاـ هـيـ الـنـزـلـ حتىـ جـاءـ حـينـ مـنـ الـدـهـرـ أـصـبـحـ فـيـهـ الـعـلـمـ لـاـ يـمـشـيـ مـعـ الـدـيـنـ ، فـكـانـ

صدام بين العلم والدين ، وقد كان هذا الصدام بينهما مرحلة أولى حاسمة في سقوط الدين وهزيمته في أوروبا .

إن الإسلام في تاريخه الطويل لم يمر - ولا تحطه للقسم - بهذا الصدام والنكاد للحظة واحدة ، ولن يمر .

يمكن أن تتصادم المعلومات البشرية والمعارف البشرية ، وقد تصادمت ، وسيكون منها حق ومنها باطل ، ويمكن أن تكون كلاً باطلة لا أساس لها من الواقعية والصحة ، ولكن من المستحيل واقعاً وأساساً أن تتصادم الحقائق والتصريحات القرآنية ، والعلوم والمعارف التي احتوى عليها هذا الكتاب ، إن كل علم يصادم القرآن ليس علماً ، إنما هو خرافة ، ووهم و幻 .

### العلم الجديد والكشف الجديدة تصدق القرآن :

إن البحث في القرآن الكريم عن حقائق العلم الحديث أو كشفه الحديثة والتطبيق بين بعض إشاراته الإجمالية وبين الكشف الجديدة والتحقيقات الجاهزة - الذي قدم به على النطاق الواسع في هذا القرآن العلامة الطنطاوي الجوهري المصري في تفسيره (جوهر القرآن) ويسعى له باحثون في تحقيقاتهم العلمية - جهد شائك ، ودقيق خطير ، لأنه من الممكن جداً - وقد أيدت التجارب ذلك مرات وكرات في تاريخ العلم والبحث - أن تغير نتائج هذه البحوث والمعارف التي يراها الناس اليوم من أجل البديهيات وأظهر الحقائق رأساً على عقب أو تصبح موضوع شك وتردد ، وتفقد بداهتها وقطعيتها .

ثم إن الجهد العلمي - الذي لا ينكر إخلاص القائمين عليه ، وجديته وإنفادته في بعض الأحيان - يبعد بالقرآن الكريم عن موضوعه الرئيسي وغايته الأساسية ، وتشمل منه رائحة الخضوع للعلم الجديد والابتهاج بالكشف العلمية الحديثة .

وقد أخطأ بعض المفسرين المتقدمين هذا الخطأ نفسه فيما يتعلق بالفلسفة القديمة والروايات التاريخية المشهورة ، ولكن لما أن نصيب ذلك من تفاسير القرآن الكريم وثرتها الضخمة كان ضئيلاً قليلاً ، ولم يجد قبولاً ولا رواجاً في أوساط المسلمين العلمية ، لذلك لم يتعرض القرآن لمثل تلك المحنـة التي تعرضت لها كتب العهد القديم بالزيادات والشروح

والإلحادات الفلكية والجغرافية والطبيعية والتي أسميت في العالم المسيحي في القرون الوسطى بالجغرافية المسيحية المقدسة (Christian Topography).

ولكن الدارس المنصف من ذوي الفطرة السليمية - الذي لا يحمد جمود الجاهلين ولا يخضع لكتشوف العلم خضوع المستسلمين المنبهرين - يدهش عندما يطلع على هذه الحقيقة العجيبة حقاً ، وهي أن هذا الكتاب رغم كونه قد نزل على رسول أمي قبل أربعة عشر قرناً من الزمن في البيئة العربية المحدودة المنعزلة عن دنيا العلم والمدنية ، احتوى على عدد من الحقائق التي تتعلق بالتاريخ والجغرافية والطبيعة والفلك والأجرام السماوية وعلم الحياة ، والطب ، وخلق الإنسان وتكوينه وتركيب أعضائه وغيرهما من كثير من المعارف والعلوم التي انكشفت عنها في القرون الأخيرة معلومات وحقائق ، وتغيرات أو ضاء العلم البشري تغيراً جذرياً ، وليس فيه ما أثبت العلم الحديث ، وكشفه ، خلافه ومنافاته للواقع ، بل قد وردت فيه حقائق ولفتات لم يكشف عنها العلم إلا قريباً ولم يبلغ إليه إلا بالأمس .

إن تفصيل هذا الإجمال لا يقتضي كتاباً واحداً بل سلسلة كتب ومؤلفات ، فنكتفي هنا بشهادة واحدة لباحث فرنسي فاضل ، فقد صدر قريباً للأستاذ الفرنسي الباحث موريس بوكائي ( Maurice Bucaille ) في كتابه ( The Bible, The Quran and Science ) وترجمته العربية باسم ( دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ) يقول فيه المؤلف الفاضل :

" ولقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميق في البداية ، فلم أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير - إلى هذا الحد - من الدعوات الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ، ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة ، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً " .<sup>١</sup>

ولقد وصل المؤلف بعد مباحث قيمة تستحق الدراسة حول خلق

<sup>١</sup> دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكائي ( طبع دار المعارف - القاهرة ) ص / ١٤٤ .

السماءات والأرض ، وإيجاد هذا الكون ، والأجرام الفلكية ، وطبيعة الأجرام السماوية وتطور العالم السماوي وغزو الفضاء ودورة الماء والبحر وتضاريس الأرض والجو الأرضي وعالم النباتات والحيوانات ، ونشأة الحياة والتناسل الإنساني ، وتربيه الجنين ، والحوادث التاريخية الكبيرة ( كطوفان نوح ، وتحديد زمن إقامةبني إسرائيل في مصر ، وخروج سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - من مصر ، وتحديد فرعون موسى ، وكيفية هلاكه وغير ذلك ) <sup>١</sup> وبعد عقد موازنات بين القرآن الكريم وصحف العهد القديم في ضوء الكشف الجديدة في عالم الطبيعة والفلك وعلم الحياة ، والطب والتاريخ وصل إلى هذه النقطة الحاسمة :

" إن مقارنة عدد من روایات التوراة مع روایات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع المعطيات الحديثة ". <sup>٢</sup>

ويختتم المؤلف كتابه العلمي الجيد بهذه السطور التالية : " ولا يستطيع الإنسان تصور أن كثيراً من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر ، وهذا بسبب حالة المعرف في عصر محمد - صلى الله عليه وسلم - لذا فمن المشروع تماماً أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبر الوحي من الله ، وأن تعطى له مكانة خاصة جداً حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث إن احتواه على المعطيات العلمية المدرستة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي ، عقيمة حقاً المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية ". <sup>٣</sup>

وهكذا فإنه لا تأثير على القرآن الكريم لميلول والنزعات البشرية المؤقتة من اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وإن هدايته وانارته للطريق في هذه الأمور العلمية أيضاً أبدية حتمية قاطعة .



١ انظر لهذه المباحث العلمية بتفصيل الكتاب المذكور من : ص / ١٥٧ - إلى ص / ٢٧١ .

٢ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعرف الحديثة : ص / ٢٨٦ .

٣ نفس المصدر .

## جوائب بلا غيارة في سورة البقرة

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان

وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً

تحول القبلة إلى الكعبة :

١٤٢ - (سَيَقُولُ السُّفهَاءُ مَا لَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي  
كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهُدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ  
مُسْتَقِيمٍ).

كان المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم يصلون بعد الهجرة إلى بيت المقدس ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يطبع في نفسه أن تكون قبلته في الصلاة الكعبة ، فأخبره الله بقوله (فَذَرِي تَقْلِبَ وَجْهكَ  
فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَّكَ قِبْلَةً ثَرْضَاهَا فَوْلَ وَجْهكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)  
وكانوا قد صلوا نحو ستة عشر شهراً إلى بيت المقدس ، ولما جاء الأمر تحول المسلمين إلى الكعبة وهم في أشاء الصلاة ، وسمى ذلك المسجد بذني القبلتين ، لكن المهم في الآية أن الله سبحانه أخبرنبيه بالآية :  
سيقول السفهاء أي الكفار (مَا لَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) قبل التحول ، وذلك من باب الإخبار بالمغيبات قبل كونها ، توطينا للنفوس على ما يرد من الأعداء ، لأن مجئ الشيء بعد العلم أخف من مجئه بغبة ، وأقل تأثيراً ، وذلك كشف لما في النقوس ، ومعجزة من المعجزات الدالة على صدق الرسالة ، فإذا قالوا ذلك (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أي جميع الجهات .

المشرق والمغرب :

ولسائل أن يسأل : لم ذكر القرآن المشرق والمغرب ، والمشارق والمغارب في آيات عديدة ، وبالرغم من أن بيت المقدس يعتبر شمال جزيرة العرب ، ومكة المكرمة في الجنوب ؟ قال المفسرون يريد جميع الأمكنة وكل النواحي بأسرها لله ملكاً وتصرفاً .

أقول لعل الله تعالى يشير بذلك إلى ما نحن عليه اليوم ، من قوتين عظيمتين تتحكمان بالعالم ، اقتصادياً وسياسياً ، الأولى اليابان والصين بالشرق وأمريكا وألمانيا بالغرب ، أما العرب المسلمين ومنتبعهم من المسلمين فجعلهم وسطاً بين الناس ليكونوا شهداء كما سيأتي في الآيات القادمة حيث قال الله تعالى :

١٤٣ - ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَبَعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقُلِبُ عَلَى عَقْبِيهِ وَإِنْ كَانْتُ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ) .

( وَسَطَا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) بسبب هذه الوسطية التي ذكرها الله ، اختار الله سبحانه أنه أمة محمد واختار محمد منها خياراً ليكونوا شهداء على العالم الشرقي والغربي وشماله وجنوبه ، لأنه من لوازمه كونهم خياراً أي عدواً ، وشهادة الرسول علينا توصيل الدين والعلم إلينا من رب العالمين ، وشهادتنا على الناس هي تبليغ الدعوة لهم وحمل الرسالة والشريعة لجميع الجهات ، وكل الألسنة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم سوف يشهد علينا يوم القيمة ، ونحن سوف نشهد على الناس ، ( إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَبَعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقُلِبُ عَلَى عَقْبِيهِ ) العلم عند الله قديم مكتوب في اللوح المحفوظ والمراد به هنا ليظهر فتعلموه أنتم واقعاً ، ورؤيده تعديه بـ ( من ) ( على عقبيه ) الرجوع على العقب أسوأ أحوال الراجع في مشيه على وجهه ، فلذلك شبه به المرتد في الدين ، ( وَإِنْ كَانْتُ لَكَبِيرَةً ) التولية التي هي الردة عن الإسلام بسبب التحول عن القبلة لبيت المقدس إلى الكعبة ، وإن مخففة من الثقلية ، واسمها محذوف ، أي أنها كانت لكبيرة ، وما كان الله ليضيع إيمان الذين صلوا لبيت المقدس سابقاً والذين ماتوا منهم .

#### تحويل القبلة :

١٤٤ - ( قَدْ تَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَئُوْيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوْلَ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ )

وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ) .<sup>١</sup>

الفاء عاطفة لربط السبب بالسبب (اللام) لام القسم لقسم مقدر.  
١٤٥ - ( وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبَعَّدُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ يَتَابِعُ قِبْلَةً بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ) .

اللام موطنة للقسم في (ولئن أتيت) وفي (لئن اتبعت).  
( قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ يَتَابِعُ قِبْلَةً بَعْضٍ ) قبلة اليهود بيت المقدس من ناحية الغرب ، وقبلة النصارى مطلع الشمس ، حيث زعموا أن مريم عليها السلام حين خرجت من بلدها مالت إلى جانب الشرق كما قال الله تعالى (إِذَا اتَّبَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ) ( وإنك لمن الظالمين ) والمعنى لأمته وتحذير لهم .

١٤٦ - ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكُنُّ مُؤْمِنُ الْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) .

١٤٧ - ( الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ) .  
أكيد الفعل هنا وفي الأئمما ويونس دون آل عمران ، ( يعرفونه ) الحق المكتوب في كتبهم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والممتنرين الشاكرين ، والخطاب للعموم :

١٤٨ - ( وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوْلَيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِي بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) .  
( ولكل وجهة هو موليهَا ) قرأ ابن عامر ( مولاها ) أي هو مولي تلك الجهة ، والمعنى لكل أمة قبله ، ( يأتي بكم الله ) أي يجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة ، وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام .

١٤٩ - ( وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ) .

<sup>١</sup> سبق الكلام عليها في الآية : ١٤٢ .

١٥٠ - ( وَمِنْ حِيْثُ خَرَجْتَ فَوْلُ وَجْهُكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحِيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلَوْا وُجُوهُكُمْ شَطَرَهُ لَئِلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشُوْنِي وَلَا تَمْ نَعْمَلُنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ ) .

وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده ، لأن تحويل القبلة مظان الفتنة فكرر عليهم ليثبتوا ويتحدوا .

تخصوني :

لم يحذف من الفعل لأن مقام الإطالة يقتضي ذلك بسبب الفتنة في تحويل القبلة .

( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ) استثناء من الناس ، واطلاق اسم حجة على قول المعاندين لأنهم يسوقونه سياق الحجة .

١٥١ - ( كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِكُمْ رَسُولًا مَنْكُمْ يَتَلَوْا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيَزَّكِّيْكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ) .

١٥٢ - ( فَادْكُرُونِي أَدْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ) .  
جواب ( كما أرسلنا ) .

الصابرون والمقاتلون في سبيل الله :

لما أوجب الله تعالى بقوله ( اذْكُرُونِي أَدْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي ) في جميع الطاعات ورغم بقوله ( ولا تكفرون ) لمباشرة جميع المنهيات ، ندب إلى الاستعانة عن تلك الوظائف بالصبر والصلوة فقال :  
١٥٣ - ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) .

١٥٤ - ( وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ) .

البلاغة في الإيجاز بآية الشهداء :

الإيجاز في ( بل أحيا ) بالحذف ، حيث حذف المبتدأ ، وتقديره ( هم ) أي بل هم أحياه وذلك لأهمية ذكر الخبر لأنهم كانوا يتصورون

أنهم أحياء ، وفي الآية كذلك طباق بين أحياء وأموات ، أي كالأحياء ، في الحكم لا ينقطع ثواب أعمالهم .  
ختام الآية (ولكن لا تشعرون) :

فيه رمز إلى أن حياتهم ليست مما يشعر به بالشاعر الظاهرية ، وإنما هي أمر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي .

الشهداء أحياء :

فإن قيل ما وجه اختصاص الشهداء في الحياة الروحانية بعد الموت عن غيرهم ، والجواب : أن حياة الشهداء والصالحين والصديقين والأولياء والأنبياء ، في الآخرة بعد الموت تختلف عن سائر الناس بقربهم من الله ، فقد ذكر في آية آل عمران إفادة أخرى بأنهم (يرزقون) <sup>١</sup> مثل ما يرزق الأحياء ، وهذا توكييد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم (فرجعين بما آتاهم الله من فضله) معجلًا لهم رزق الآخرة ونعمتها ، وهناك أحاديث في هذا الموضوع لم نذكرها اختصاراً ، وهذه الحياة هي حياة برزخية تختلف عن حياة الدنيا اختص الله من يشاء من عباده بها .

١٥٥ - (ولَبَّأْوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُنُوْنِ وَتَقْصِّـ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْمَرْأَاتِ وَبَشَّـ الصَّابِرِينَ) .

١٥٦ - (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

١٥٧ - (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ)

(ولَبَّأْوَكُمْ) الواو والقسم ، واللام جواب قسم محذوف ، أي والله لتعاملنكم معاملة المبتلى هل تصبرون ، وفي ذلك امتحان (يشيء من الخوف) أي بقليل من الخوف ، وإنما قلله لأن ما وقاهم منه أكبر بالنسبة لما أصابهم ، وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطئوا عليه أنفسهم ، ويسهل عليهم الصبر عليه ، فإن مفاجأة المكرور أشد على النفس من إصابته مع ترقبه (صلوات من ربهم ورحمة) هنا جاءت الصلاة بمعنى المغفرة ، وجمعت لأن بعضها يتلو ببعضًا لتدل على الكثرة ، أما في سورة الأحزاب <sup>٢</sup>

<sup>١</sup> آل عمران الآية : ١٦٩ .

<sup>٢</sup> الآية : ٤٣ .

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات ، فمعناها الرحمة ، ومن الملائكة الاستفخار لهم ، والجمع بين الصلاة والرحمة للإيدان بأن رحمته غير منقطعة ، مثل الصلاة ، طول العمر .

#### بعض شعائر الحج :

١٥٨ - ( إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوُفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ ) .  
يطوف :

أصل ( يطوف ) يت天涯 اقترب مخرج التاء من مخرج الطاء ، فقلبت التاء طاء للتخفيف ، والمراد من الطواف بهما السعي المتعدد والمرور بين الجبلين ، وكان في الجاهلية على الصفا إساف وعلى المروءة نائلة ، وهما صنماني ، فلما فرض السعي بينهما تحرج الصحابة من السعي بينهما، فنزل قوله تعالى ( فلا جناح ) ( ومن تطوع خيراً ) زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب شوطاً ثامناً وتاسعاً ، أو تطوع بالسعي في عمرة أخرى ، أو تطوع بفعل أي خير ، من صدقة أو غيرها فهو عام في كل خير .

١٥٩ - ( إِنَّ الَّذِينَ يَكُثُّرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيْنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَأْعَنُهُمُ اللَّهُ وَلَيَأْعُنُهُمُ الْأَعْنُونَ ) .

ومثل هذه الآية الآية : ١٧٤ ( إِنَّ الَّذِينَ يَكُثُّرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ظَمَانًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ثَارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرِزِّكِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) .

ذكر في هاتين الآيتين الكتمان للعلم بينما لم يذكر ذلك في آية آل عمران <sup>١</sup> وهو لاء المذكورون في هاتين الآيتين هم المذكورون في آية آل عمران ( ٧٧ ) والجواب أنه لما تقدم قبلها في السورة نفسها قوله تعالى ( ولا تلپسوه الحق بالباطل وتكثموه الحق وأئتم تعلمون ) ( ٤٢ ) وكتموا بعد أن حذروا عن الكتم ، أوردت الآياتان بجزاء من كتم واستحقاقهم اللعن من الله ومن عباده وملائكته ، وزيد في الآية الثانية من البقرة في الجزاء

<sup>١</sup> قوله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثُمَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرِزِّكِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) ( ٧٧ ) .

من العقاب موازنة لزيادة المركب فقال (مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارُ ) ولم يذكر في الأخيرة التوبة لتماديهم وعندادهم ، وإصرارهم على الذنب ، وتكرار اللعن : لتأكيد الذم .

١٦٠ - (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيْتُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ ) .

إثبات وحدانية الله تعالى :

١٦١ - (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ) .

١٦٢ - (خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ) .

١٦٣ - (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ) .

في الآية الأولى جاءت كلمة اللعن بالفعل (يلعنهم الله) والفعل يدل على الحدوث والتعدد ، ولللغنة اسم يدل على الثبوت المستمر ما داموا يكتمون ما أنزل الله لهم ما زالوا أحياء ولم يتوبوا ، أما إذا تابوا وأصلحوا يغفر الله لهم ، ولهذا جاء بالصيغة الفعلية (يلعنهم الله) .

أما في الآية ١٦١ (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ) فهو لاء كفروا وماتوا وقد حلت عليهم اللعنة فعلاً ، ولهذا جاءت الآية بالصيغة الاسمية لأنها ثابتة ولن تتغير لأنهم ماتوا على الكفر .

١٦٤ - (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابَيِّ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ) .

حال المشركين مع آلهتهم في الدنيا والآخرة :

١٦٥ - (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحْبِبُهُمْ كَحْبُ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَرِيدُ الْعَذَابِ ) .

#### ١. الأسباب الاعجازية في القرآن .

# وإنك لعلى خلق عظيم

الشيخ الطاهر بدوي الجزائري

إنه الشاء الفريد على النبي الكريم ، إنه شاء الله جل علاه على نبيه الرؤوف الرحيم بقوله " وإنك لعلى خلق عظيم " (القلم / ٤) ، ويثبت هذا الشاء العلوى في صميم الوجود .. وهي شهادة من الله في ميزان الله لعبد الله ، ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداده أحد من العالمين ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تبرز من نواح شتى :

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال ، يسجلها ضمير الكون ، وتثبت في كيانه ، وتتردد في الملا الأعلى إلى ما شاء الله. وتبرز من جانب آخر من جانب إطاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتلقاها. وهو يعلم من ربه هذا ، قائل هذه الكلمة. إن إطاعة سيدنا محمد الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم ، لتلقي هذه الكلمة من هذا المصدر الرباني ، وهو ثابت حين يتلقاها من ربه مطمئن ، لا تتأرجح شخصيته الزكية تحت وقعاها ولا تضطرب ، هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل .

ولقد رویت عن عظمة خلقه في السيرة ، وعلى لسان أصحابه روایات منوعة كثيرة . وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روی عنه . ولكن هذه الكلمة أعظم بدلاتها من كل شيء آخر ، أعظم بصدورها عن العلي الكبير ، وأعظم بتلقي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لها وهو يعلم من هو العلي الكبير ، وبقائه بعدها ثابتًا راسخا مطمئنا ، لا يتکبر على العباد ولا ينتفخ ولا يتعاظم وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير .. وهو الذي يدعوه ويلح ويقول : " اللهم أحيني مسكينا وأمنني مسكينا وأحسنني في زمرة المساكين " مع أنه أوتي مفاتيح الدنيا

والأخرة وأعطي ما لم يعط أحد من المرسلين . والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وما كان إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعظمة نفسه هذه من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى ، فيكون كفؤاً لها كما يكون صورة حية منها .

إن هذه الرسالة من الكمال والجمال ، والعظمة والشمول ، والصدق والحق ، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الشاء ، فتطييق شخصيته كذلك هذا الشاء في تماسك وتوازن وطمأنينة . طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الشاء العظيم ، ثم يتلقى بعد ذلك عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته ، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة ويعلن هذه كما يعلن تلك ، لا يكتوم من هذه شيئاً ولا تلك وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم ، والعبد الطائع والمبلغ الأمين .

إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة ، وإن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية لأن بعد من مدى أي مجهر يملكه بشر ، وقصير ما يملكه راصد لعظمة هذه الحقيقة المزدوجة أن يراها ولا يحدد مداها ، وأن يشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدد هذا المسار .

إنه سيدنا محمد وحده هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة .. إنه سيدنا محمد وحده صلى الله عليه وسلم ، هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لفخة الله في الكيان الإنساني . إنه سيدنا محمد وحده هو الذي يكفى هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية ، حتى تمثل في شخصه حية ، تمشي على الأرض في إهاب إنسان .. إنه سيدنا محمد وحده الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام . والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وأعلن في هذه أنه على خلق عظيم ، وأعلن في الأخرى أنه جل شأنه وتقدست ذاته وصفاته ، يصلي عليه هو وملائكته " إن الله وملايكته يصلون على النبي " وهو جل شأنه وحده القادر على أن يهب عبداً من عباده ذلك الفضل العظيم .

## أهمية الأمثال في اللغة العربية: تقويم بلاغي لأمثال القرآن

الأخ محمد رياض . ث \*

اللغة العربية هي أكثر اللغات تحدثاً ضمن مجموعة اللغات السامية، وأحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم ، يتحدثها أكثر من ٤٢٢ مليون نسمة ، واللغة العربية لغة رسمية في كل دول الوطن العربي ، إضافة إلى كونها لغة رسمية في تشاد وإريتريا وإسرائيل . وهي إحدى اللغات الرسمية في منظمة الأمم المتحدة ، ويحتفل باليوم العالمي للغة العربية في ١٨ / ١٢ من ديسمبر (من كل عام ) ، كذلك اعتماد العربية بين لغات العمل في الأمم المتحدة .

واللغة العربية من أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية ، فعلى سبيل المثال : يحوي معجم لسان العرب للإمام اللغوي الحجة ابن منظور الإفريقي الأنباري محمد بن مكرم بن علي ، أبي الفضل ، جمال الدين (٧١١هـ - ١٣١١م ) من القرن الثالث عشر الميلادي أكثر من ٨٠ ألف مادة ، بينما لا يوجد نظير هذه الفزارة في اللغات العالمية الأخرى ، وخذ اللغة الإنجليزية على سبيل المثال ، فإن قاموس صموئيل جونسون ، وهو من أوائل من وضع قاموساً إنجليزياً ، من القرن الثامن عشر ، يحتوي على ٤٢ ألف كلمة فقط .

وقد زاد قيمة اللغة العربية "الأمثال العربية" التي هي العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تصاغ لتصوير موقف أو حادثة ، ولتختلص خبرة إنسانية يمكن استعادتها في حالة أخرى مشابهة لها مثل : "رب ساع لقاعد" (أي : رب مجتهد فيما نفعه لغيره : يضرب ملن يعود نفع جهده لغيره) ، و "إن البفاث بأرضنا يستتر" (يضرب مثلاً للضعف يصير قوياً ، ويرتفع أمره ، وقد يراد من جاورنا عز بنا) ، و "رجع بخفي حنين" (أي رجع بغير شيء : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة ، أي: يقال للرجل إذا عاد خائباً) ، و "إياك أعني واسمعي يا جارة" (يضرب ملن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً آخر) و "أنجز حر ما وعد" (يضرب في الوفاء بالوعد ، وفي طلب الوفاء بالوعد واستتجاهه ، أي لينجز الحر بوعده ، فهو أمر في صورة الخبر)

\* باحث الدكتوراه - جامعة كاليفورنيا ، كيرلا .



و "إن كنت ريحًا فقد لاقت إعصاراً" (يضرب للمدل بنفسه إذا لقيه من أذله ونال منه ، أي : يضرب للقوى بأن هناك من هو أقوى منه) ، و "الحديد بالحديد يُفلح" (الفلح : الشق ، ومعنى المثل : أن الصعب لا يلينه إلا الصعب ، أي الأمر الشديد يستعان بمثله فيسهل صعوبته) ، و "إن الشفيف بسوء ظن مولع" (يقال : في خوف الرجل على صاحبه ، أي من غاب من يحبه ساء ظنه بحدثان الدهر فيه لفطر شففته عليه ، وذلك أن المعنى بالشيء لا يكاد يظن به إلا المكروه) ، و "إن الرثىة مما تذهب الفضلا" (الرثىة : اللبن الحامض يخالط بالحلو . ي يريد أن المهادة تذهب الاستيحاش ، يضرب مثلاً لحسن موقع المعروف ، وإن كان يسيراً) ، و "إن دواء الشق أن تحوصه" (أي تلائمه وتصلحه ، والحوص : الخياطة ، أي : لا تمهل الأمر اليسيير فتاتفاقم فيصير كبيراً ، يضرب في رتق الفتق وإاطفاء النائرة) ، و "أنقى من مرآة الغريبة" (يضرب للمرأة التي تتزوج من غير قومها ، فهي تجلو مرآتها أبداً لثلا يخفى عليها من وجهها شيئاً ، لأن أحداً من أهلها لا يد لها عليه بشأن قبح تزييه ، أو حسن تديمه) ، و "انقطع السلى في البطن" (أي فات الأمر وانقضى ، والسلى : غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه ، وهو للحوار أي : ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يفطم ويحصل ، بمنزلة المشيمة للصبي وإذا انقطع في البطن هلاك الناقة ، يضرب مثلاً : إذا بلغ الأمر غايتها وانقطعت فيه الحيل) ، و "إن الجبان حتفه من فوقه" (يضرب مثلاً لبيان أن حذره وجنه ليس بدافع عنه المنية إذا نزل به قدر الله) و "إن حبطا مما ينبت الريبع لما يقتل" (الحطط : انفخان البطن ، وهو أول من تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرره مثلاً من أعطي من الدنيا حظاً ، فألهاه الاشتغال به والاستكثار منه والحرص عليه عن إصلاح دينه ، فيكون فيه هلاكه ، كما أن الماشية إذا لم تقتصد في مراعيها حبطت بطونها فماتت أو كادت تموت) ، و "رب قول أشد من صول" (أي رب كلام أشد من إيقاع ، أو عار أشد من قتل ، يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به ، وقد يضرب هذا المثل فيما يتنى من العار) ، و "إياك وحضراء الدمن" (يضرب للمرأة الحسنة في المنبت السوء) ، و "أحسفا وسوء كيلة" (يضرب للذى تجتمع فيه خصلتان سبستان) ، و "انقضب قوي من قاوية" (الانقضاب : الانقطاع أي لقطع الفرج من البيضة أي خرج منها ،

يضرب للذى فات فوتاً لا يستدرك ) ، و " إن الججاد عينه فراره " ( الفرار بالكسر : النظر إلى أسنان الدابة لمعرفة قدر سناها ، ومعناه إن معاينتك الججاد تفنيك عن فراره ، يضرب مثلاً للأمر يدل ظاهره على باطنه ) ، و " إن أخاك من آساك " ( يضرب في المساعدة والتكافف وإعانته الرجل صاحبه وانصبابه في هواه وانخراطه في سلكه ، حتى كأنه أخوه لأبيه وأمه ) ، و " إن البلاء موكل بالمنطق " ( يضرب في الحث على صون اللسان من الزلل ، فالبلاء يأتي نتيجة خطأ الكلام أو اللسان ) ، و " إن العوان لا تعلم الخمرة " ( العوان : الثيب أو بنت الثلاثين ، والخمرة عالمة بالاختمار ، ولا حاجة بها إلى تعلمه ، يضرب مثلاً للعالم بالأمر المجرب له ) ، و " إن المثبت لا أرضًا قطع ولا ظهراً أبقى " ( حديث شريف ينهى عن الفلو في العبادة ، فهو كالذى أسرع في السير وأكثر حتى عطبت دابته ) ، و " إن العصا فرحت الذي حلم " ( قيل في عمرو بن مالك ، وذلك أن النعمان بعثه رائداً ، ثم قال : إن ذم المرعى أو حمده لأقتلنه ، فلما رجع وقام يتكلم قرع له أخوه بالعصا ، ففطن الأمر ، فلم يحمد ولم يذم المرعى ، وتخلى من الموقف بذكاء ولباقة ، ويضرب لمن يتعظ إذا وعظه وينتبه إذا نبه ) و " إن جانب أعياك فالحق بجانب " ( يضرب في الأمر بالارتحال عند نبو المنزل ، كما يضرب عند ضيق الأمر والحث على التصرف ) ، و " إن ذهب غير فغير في الرباط " ( الرباط هو الجبل الذي تربط به الدابة ، والمثل يضرب للشئ يقدر على العوض منه ، فيستخف بفقده ، كما يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب ) ، وما إلى ذلك .

وبالجملة ، فإن الأمثال العربية هي حكمة الشعوب العربية ومرآتهم التي تعكس أحاسيسهم على مختلف مستوياتهم ، وهي المتنفس الوحيد لمشاكلهم ، والمعبر عن همومهم ، كما هي بمثابة معايير أخلاقية موضوعة من عقلاه القوم ، لتكون ضابطاً سلوكياً ومنهجاً أخلاقياً لعامتهم وخاصة ، يتلقاها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل ، فتظل محفورة في ذاكرة الشعب تعبر عن كفاح أبنائه عبر سني حياتهم سرائرها وضرائهما ، نعيمها وبؤسها ، يسرها وعسرها ، خيرها وشرها ، كما هي أصدق شئ يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها وعاداتها ، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير ، فهي صورة للحياة الاجتماعية والعقلية والسياسية والدينية واللغوية ،

وهي أقوى دلالة من الشعر في ذلك ، لأنه لغة طائفة ممتازة .  
وملخص القول أن الأمثال العربية رصيد عربي كبير للباحثين والكتاب والمفكرين ، وقد يؤثر استخدام " مثل عربي " مناسب في الكتابات والبحوث والمؤلفات ، ما لا يؤثر في صفحات وأوراق ، فالآيات العربية لا يستفني عنها أي راغب في اللغة العربية .  
**أهمية الأمثال في القرآن :**

ومعرفة أمثال القرآن مهمة جداً ، ولا بد منها للعالم المجتهد ، والقارئ المعتبر ، فقد أخرج البيهقي ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال وحرام ، ومحكم ، ومتشبه ، وأمثال . فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشبه ، واعتبروا بالأمثال .<sup>١</sup>

وقال الماوردي : من أعظم علم القرآن علم أمثاله . وقد عده الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته ، المبينة لاجتناب معصيته .<sup>٢</sup>

ويوضح عبد القاهر الجرجاني أهمية الأمثال في إبراز المعانى فيقول : " وأعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعانى ، أو أبرزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وأكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها . فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخم . وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب وللقلوب أخلب ، وإن كان وعظاً كان أشفر للصدر وأدعى إلى الفكر " .<sup>٣</sup>  
**نماذج من أمثال القرآن مع تحليلها :**

١. قال الله تعالى في سورة البقرة : ( مَتَّهُمْ كَمَثِيلُ الَّذِي اسْتَوْدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءُتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ يُتَوَهِّمُ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبَصِّرُونَ . صُمُّ بُكْمُ عُمُّ فِيهِمْ لَا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصِيبٌ مِّن السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ )<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> أخرجه البيهقي في " شعب الإيمان " ٥٤٨/٣ ، رقم ٢٠٩٥ ، ط ١ ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٤٣هـ - ٢٠٠٣م .

<sup>٢</sup> السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ٣٤٣/٢ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، تحقيق : سعيد المنذوب .

<sup>٣</sup> إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ١/٤٣٠ ، ط ٤ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

يَجْعَلُونَ أَصْبَاعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتَ وَاللَّهُ مُحِيطٌ  
بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطُفُ أَبْصَارَهُمْ كَلَّا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَأً فِيهِ وَإِذَا  
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ) البقرة : ١٧ - ٢٠ .

وفي هذه الآيات مثلان يوضح الله بهما شأن المنافقين ، الذين لا يجدون في أنفسهم الشجاعة ليواجهوا الحق بالإيمان الصريح ، ولا يجدون في نفوسهم الجرأة ليواجهوا الحق بالإنكار الصريح ، فهم يتحلون بظاهر من الدين ليكسبو مغافنه ويقتوا مغارمه ، ولكنهم يعودون في نهاية الأمر خائبين خاسرين . ففي المثال الأول : يشبه الله تعالى حال المنافقين العجيبة الشأن بحال من استوقد ناراً ليستضيء بها ، ولكنها ما كادت تضيء له ما حوله حتى انطفأت ، وعاد الظلام يلفه من جديد ، وبقيت نفسه في حيرة وشك وضياع .

والآية مثل ضرره الله من آتاه شيئاً من الهدى فأضاعه ، ولم يتوصلا إلى النعيم الأبدي ، وإنما بقي متخيلاً ضائعاً لا يجد نفسه ، وهذا يدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون . وفي المثال الثاني : يشبه الله سبحانه حالهم بحال من أصحابهم مطر هاطل غزير ، في ليلة مظلمة مليئة بوميض البرق وزمرة الرعد ، كلما أضاء لهم نور البرق مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم وقفوا حائرين لا يدركون أين يذهبون ، وهم في هذه الحالة خائفون فزعون ، إذا لمع البرق كادت أن تتخطف منه أبصارهم ، وإذا قصف الرعد جعلوا أصحابهم في آذانهم من مخافته .

وكذلك المنافقون متلبسون في ظاهرهم بالإسلام الذي هو كصبب من السماء ، ولكنهم يشعرون حقيقة قلق واضطراب وتردد وحيرة ، ويتارجحون بين لقاء المؤمنين وعودتهم للشياطين ، بين ما يقولونه باليقنه وما تخفيه صدورهم ، بين ما يطلبونه من هدى ونور ، وما يفيئون إليه من ضلال وظلم ، بين ما يريدونه من فوائد الإسلام وشراته ، وما يخافونه من تبعاته ووظائفه وزواجه .

ومن الواضح أن التمثيل هنا اتبع الطريقة القصصية في تفصيل صوره وأجزائه ، وجاء مبنينا على تشبيهه مجموع حالة بمجموع حالة أخرى ، دون النظر إلى مقارنة أو تشبيه أجزاء الحالين بعضهما ببعض .

٢. وقال تعالى في سورة الأعراف : ( وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَا إِيَّاهُ فَإِنْسَانٌ مِنْهَا فَأَتَبْعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَارَّاينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَنْتَهُ كَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهُثُ أَوْ تُشْرِكُهُ يَلْهُثُ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا هَاقْصُصُ الْقَصْصَنَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ) (الأعراف : ١٧٥ - ١٧٧) . وفي هذه الآيات مثال واضح للإنسان الذي ينحرف عن الفطرة السوية ، وينقض عهد الله ، وينكص عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها . ذلك الإنسان آتاه الله آياته ، وخلع عليه من فضله ، وأعطاه الفرصة كاملة للهدي والاتصال والارتفاع ، ولكنه انسلاخ من هذا كله ، وانحرف عن الهدي ليتبع الهوى ، والتتصق بالأرض وأغراضها وهو فيها ، فاستولى عليه الشيطان ، وطرده من حمى الله ، فأصبح ممسوخا كالكلب يلهم <sup>١</sup> إن طورد ، ويلهم إن لم يطارد .

والنبي في الآية نبأ رجل من علماء بنى إسرائيل ، وقيل : هو بلعام بن باعوراء من الكعنانيين ، وقيل : أممية بن أبي الصلت من العرب . أُوتى علم بعض كتب الله ، ولكنه انسلاخ منها وأعرض عنها ، فاتبعه الشيطان وأضلله .

وقيل : إن الله تعالى ضرب هذا النبأ مثلاً لکفار بنى إسرائيل ، إذ علموا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى إنهم كانوا يستقتحون به على المشركين ، فلما جاءهم ما عرفوها كفروا به . وقيل : إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله ، فلم ينتفع بهذا العلم ، ولم يستقم على طريق الإيمان ، وانسلخ من نعمة الله ، ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان . <sup>٢</sup>

وهذا المثل منتزع من قصة واقعة ، وليس مجرد فرضية مؤلفة .

٣. وقال الله تعالى في سورة إبراهيم : ( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلْمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلَهَا ثَابَتْ وَفَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ . ثُوَّتْ أَكْلَهَا كُلُّ حِينٍ يَأْدُنُ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلْمَةٍ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ) (إبراهيم : ٢٤ - ٢٦) يضرب الله في هذه الآيات مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ،

<sup>١</sup> كالذى يخرج لسانه من حر أو عطش .

<sup>٢</sup> ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣٢٣ / ٢ - ٣٢٥ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٤ھـ - ١٩٩٤م .

لتصویر سنته الجاریة في الطیب والخیث في هذه الحیاة .  
**فالكلمة الطیبة - کلمة الحق - كالشجرة الطیبة ثابتة سامقة**  
 مثمرة ، ثابتة لا تزعزعها الأعاصیر ، ولا تعصف بها ریاح الباطل ، سامقة  
 متعالیة تطل على الشر والظلم من عل ، مثمرة لا ينقطع ثمرها ، لأن بذورها  
 تثبت في النفوس المتکاثرة آنا بعد آن .

**والكلمة الخیثة - کلمة الباطل - كالشجرة الخیثة ، قد تهیج**  
 وتنعلی ، ويخیل إلى الناس أنها أضخم من الشجرة الطیبة وأقوى ، ولكنها  
 تظل نافثة هشة ، وتظل جذورها في التربة قریبة حتى لکأنها على وجه  
 الأرض ، وما هي إلا فترة قلیلة ثم تجتث من فوق الأرض ، فلا قرار لها ولا بقاء .  
**وفترت الكلمة الطیبة : بكلمة التوحید ، ودعاوة الإسلام ،**  
 والقرآن . والشجرة الطیبة : بالنخلة ، وبشجرة في الجنة . أما الكلمة  
 الخیثة : فهي الشرك بالله ، والدعاء إلى الكفر ، وتكذیب الحق .  
**والشجرة الخیثة : بالحنظلة . ولعل المراد من هذه الألفاظ جميع المعانی**  
 المتقدمة . والعبرة ظاهرة ومقنعة في هذه النماذج الثلاثة ، وهي قلیل من كثیر  
 مما في القرآن الكريم من أمثال هادفة ورائعة .

**والأمثال تزید في روعة المقال ، وسحر الكلام ، فليعنی بها هواة**  
 الأدب وعشاق العربية .

#### المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .
٢. إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط : ٤ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
٣. البدکري ، أبو عبید ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، ط : ٣ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢ م ، تحقيق : د . إحسان عباس و د . عبد المجید عابدین .
٤. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
٥. البیهقی "شعب الإيمان" ، ط : ١ ، الرياض ، مکتبة الرشد ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
٦. السیوطی ، جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، تحقيق : سعید المتدوب .

## زواج المسلم بالكتابية في الدول الإسلامية في العصر الحاضر

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

\* فضيلة الشيخ مصطفى عبد القدوس الندوى

الحالة الأولى : دخول المسلم في دولة غير إسلامية باختيارة :

كما أسلفنا آنفاً أنه يدخل المسلم دولة غير إسلامية باختيارة لتحقيق شتى أغراض وأهداف ، ثم ربما يبدو له الحاجة إلى التزوج ، والتعايش مع زوجتها لغض البصر ، وإعفاف النفس ، وللأمان من الوقوع في معصية كبيرة ، وقد تكون لديه أغراض وبواعث أخرى للنكاح ، كالتوافق الطبيعي ، ولسهولة في تحصيل التأشيرات ونيل تسهيلات مدنية من تلك الدولة التي أقام فيها .

وفي هذه الحالة حكم الشرع الإسلامي هذا ، كما سبق أنه يجوز النكاح للمسلم من الكتابية الحرية عند جمهور علماء الأمة على كل حال ، وأما الأولى ، فلا ينبغي له التزوج على كل حال ، لأنه تعریض الولد على التخلق بأخلاق أهل الكفر ، وعلى الرق بأن تأتي بولد فيستولي عليه الكفار ، وربما نشأ بينهم فيصير على دينهم<sup>١</sup> ، وقال ابن قدامة الحنبلـي : "إإن غلبت عليه الشهوة أبيح له نكاح مسلمة ، لأنها حالة ضرورة ويعزل عنها كي لا تأتي بولد ولا يتزوج منهم ، لأن امرأته إذا كانت منهم غلبته على ولدها ، فيتبعها على دينها" <sup>٢</sup> .

ويبدو لي بما تقدم من نصوص شرعية وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء ، أنه على درجات تالية :

أولاً : ينبغي للمسلم المقيم في دولة غير إسلامية أن يصبر ويصوم ، ولا يتقدم على النكاح من كتابية بما يبيه .

\* كدبـه ، آندهـرـابـرـدـيـشـ.

١ . فتح القدير : ٣ / ٢١٨ - ٢١٩ ، المغني : ٨ / ٤٥٥ - ٤٥٦ .

٢ . المغني : ٨ / ٤٥٥ - ٤٥٦ .

**ثانياً :** وإن غلت عليه الشهوة ، ويجد في نفسه التوكان الشديد إلى النكاح و إلا يقع في الزنا ، فإن وجد مسلمة يتزوجها ، فتزوجها ، وإن لم يجد مسلمة مقيدة يتزوجها ، وأمكنته الرجوع إلى بلده ، فليرجع ويتردّج مسلمة ، وليرجع بها إلى دولة غير إسلامية لتقيم معه حتى تقتضي حاجته التي جاء من أجلها إلى دار الحرب كإكمال دراسته إن كان طالب علم ، أو إكمال ما تقتضيه تجارتة إن جاء تاجراً ، أو إكمال المشروع في الشركات إن كان موظفاً ، أو إتمام مدة المعاهدة للعمل فيها أو في غيرها إن جاء موظفاً نحو ذلك .

**ثالثاً :** فإن لم يتيسر له الرجوع إلى بلده للزواج بمسلمة والرجوع بها إلى دار الحرب ، فيجوز له للضرورة أن ينكح امرأة كتابية منهم .

**رابعاً :** وينبغي للمسلم الذي تضطره غلبة الشهوة أن يتزوج امرأة منهم أن يتخيرها من اللاتي يرجى إسلامهن .

**خامساً :** ثم إن كانت الزوجة كتابية حرية ، فال الأولى أن يعزل عنها ، وإن أسلمت أو تزوج بمسلمة ، فال الأولى عدم العزل<sup>١</sup> .

هذا ما كان التفصيل في دولة غير إسلامية هي دار الحرب ، أو دولة ديمقراطية تقوم مقامها في حق المسلمين ، كفرنسا وبرما في العصر الراهن .

وأما إذا كانت الدولة غير الإسلامية ديمقراطية كالهند ونحوها ، التي منحت فيها المسلمين جميع الحقوق الدينية ، ووضعت القوانين بأن جميع الناس أحرار في العمل على دينهم دون تقييد وفرض عليهم ، فلا شك أنها دار الأمن والمعاهدة ، فلا حاجة للمسلم الذي سافر إليها من دولة إسلامية ، أن يتزوج فيها كتابية ، لأن فيها مسلمات كثيرات ، فلينكح ما طاب له من النساء المسلمات الحرائر .

**الحالة الثانية :** زواج الأسير المسلم في دولتين غير إسلاميتين :  
وإذا كان المسلم في إقامته في دولة غير إسلامية سواء كانت دار الحرب أو ديمقراطية تقوم مقامها حكماً وعملاً في حق المسلمين كفرنسا وبرو شيلم ، مضطراً أو مكرهاً على نحو لا يمكن له الخروج

١. ملخص من المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم في الشريعة الإسلامية : ٧ / ٢٢

منها باختياره كالأسير، هو مكره في إقامته حسب مشيئة محكمتها العظمى ، أو دخلها المسلم بأمان ، حبس متهمًا بجريمة ، ومنع من الخروج والرجوع إلى بلده ، وأجبر على الإقامة في إقليمها إلى أن تحكم محكمتها بالبراءة أو العقاب ، فهو للاء المسلمين لا يجوز لهم التزوج من كتابية حربية ولا من مسلمة نظراً إلى أحوالهم الحاضرة في الوقت الحاضر ، ومستقبلاً لهم في ظلمة ، ولا يعلم مصيرهم ، ثم إن تزوج الأسير المسلم في دولة غير إسلامية لا يخلو من فتنة وفساد ، ولا يأمن على امرأته أن يطأها غيره ، ولا على ولده إن ولد له أن يكون رقيقاً لهم ، وأن ينشأ على غير دين الإسلام ، قال ابن قدامة : " وأما الأسير ، فظاهر كلام أحمد أنه لا يحل له التزوج ما دام أسيراً ، لأنه منعه من وطء امرأته إذا أسرت معه مع صحة نكاحها فمنعه من ابتداء النكاح ، والوطء أولى بالمنع ، وهذا قول الزهري ، فإنه قال : لا يحل للأسير أن يتزوج ما كان في أيدي العدو ، وكره الحسن أن يتزوج ما دام في أرض المشركين ، لأن الأسير إذا ولد له ولد كان رقيقاً لهم ، ولا يأمن أن يطأ امرأته غيره منهم " <sup>١</sup> .

النكاح من كتابية في دار الكفر لرجاء إسلامها :

يقول بعض الناس الذين يقيمون في الدول الغربية : نحن نتزوج من كتابيات لفرض دعوتها إلى الإسلام ، ومن المشاهدة والتجارب أن الكتابيات اللاتي دخلن في نكاح المسلمين ، أسلمت معظمهن واعتنقن الإسلام بعد مدة ، ثم صرن داعيات إلى الله أيضًا ، وجعلن بيذلن قصارى جهودهن في الدعوة إليه ، ويركزن جهدهن المضني على أن يدخل آباءهن وأمهاتهن ، وإخوانهن وأخواتهن ، وبقيقة أقاربهن في الإسلام ، وأن يعتنق الآخرون من غير أهلهن الإسلام أيضًا .

هناك تنشأ قضية فقهية ، وهي ، هل تبقى كراهة الزواج من كتابية في الدول الغربية غير الإسلامية أيضًا على قول من يكرهون النكاح منها في دار الكفر والشرك ؟

وليس الكلام هناك جواز النكاح للMuslim من الكتابية وعدم جوازه ، لأن الإجماع انعقد على جوازه باية : وألمُحَصَّنَاتُ مِنَ الْمُنْهَنَاتِ أَوْثَانَا

١. المغني لابن قدامة : ٤٥٦ / ٨ .

أَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ (المائدة : ٥) ، ثُمَّ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ لَا يُفْرَقُونَ بَيْنَ الْكَتَابِيَّةِ الْذَّمِيَّةِ وَالْكَتَابِيَّةِ الْحَرَبِيَّةِ ، وَلَا بَيْنَ دَارِ الإِسْلَامِ وَدَارِ الْكُفَّارِ فِي الْجَوَازِ ، إِلَّا أُنْهُمْ يَكْرَهُونَ النِّكَاحَ مِنَ الْكَتَابِيَّةِ فِي دَارِ الْحَرَبِ وَالْكُفَّارِ بِمَصْلَحةِ دِينِيَّةٍ ، وَهِيَ كَوْنُ مِيلَانِ أَزْوَاجِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دِينِهِنَّ تَحْقِيقًا لِهَا هُنَّ إِذَا وَقَعُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَأَخْذُوا نُفُوسَهُمْ وَسَرِّيَّةَ أَحْشَائِهِمْ ، وَيَتَمَكَّنُ أَذْهَانُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ ، هَذَا أَيْضًا مِنَ الْمَشَاهِدَاتِ الْوَاقِعِيَّةِ ، ثُمَّ يَلْزَمُ تَعْرِيضُ الْوَلَدِ عَلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَيُمْكَنُ أَنْ يَجْبَرَ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، إِذَا أَمْنَ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى جَمِيعِ الْخَطَرَاتِ الشَّنِيعَةِ السَّالِفَةِ ، لَا بَأْسَ بِنَكَاحِهِنَّ بِشَرْطِ الرَّجَاءِ الْقَوِيِّ إِسْلَامُهُنَّ لَا تَوْهُمُ الْمَجْرُدِ ، وَلَا أَنَّهُ يُمْكَنُ أَنْ يَسْلِمَنَ ، لِعَلَيْهِنَّ أَنْ يَدْخُلُنَ فِي الْإِسْلَامِ ، أَوْ وَقَعُوا فِي حَبَّهُنَّ ، فَيُرِيدُونَ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ مِنْهُنَّ مَعْلَمَيْنَ أَنَّهُنَ مُسْلِمُونَ .

ثُمَّ عَلِمَ أَبْكَمْ أَنَّ مَعْنَى الرَّجَاءِ الْقَوِيِّ هُوَ مَا بَيْنَهُ الدَّكْتُورُ عَبْدُ الْكَرِيمِ زِيَادَانَ فِي كِتَابِهِ الشَّهِيرِ الضَّخمِ "الْمَفْصِلُ فِي أَحْكَامِ الْمَرْأَةِ" : "يَتَحِيرُهَا مِنَ الْلَّاتِي يَرْجِي إِسْلَامُهُنَّ حَسْبَ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا مِنْ حَسْنِ السِّيَرَةِ وَالْحَيَاةِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَسَمَاعِ الْمَحَاضِرَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَامَّةِ ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَالْمَجَالِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ" <sup>١</sup> .

حَكْمُ أَوْتَارِ الْهَنْدُوسِ وَكِتَبِهِمُ الدِّينِيَّةِ :

وَمِنَ الْأَصْوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْعِلْمِ قَدِيمًاً وَحَدِيثًاً أَنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِكَوْنِ كِتَابٍ سَمَاوِيًّا مِنْ زَلَّا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا بِكَوْنِ رَجُلٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا مِنْهُ تَعَالَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَنْصُوصًا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ أَوْ فِي كَلِيْهِمَا ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَنْصُ فِي كَلِيْهِمَا أَوْ أَحَدَهُمَا ، تَوْقِنًا ، وَلَا نَحْكَمُ بِشَيْءٍ ، نَعْنِي لَا نَصِدِّقُ أَنَّهُ كِتَابٌ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَسُولٌ مِنْهُ ، وَلَا نَكْذِبُ - وَعَلَى هَذَا لَا نَصِدِّقُ أَنَّ كِتَابَ الْهَنْدُوسِ الدِّينِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ بـ "وَيْد" تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا نَكْذِبُهَا ، كَذَلِكَ لَا نَصِدِّقُ أَنَّ أَوْتَارَهُمْ رَسُلٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا نَكْذِبُهُمْ ، بِمَا لَا نَجِدُ تَصْيِيصًا كِتَبِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَرَسُلِهِمْ فِي الْقُرْآنِ أَوْ الْحَدِيثِ .

١ . المَفْصِلُ فِي أَحْكَامِ الْمَرْأَةِ لِدَكْتُورِ عَبْدِ الْكَرِيمِ زِيَادَانِ : ٧ / ٢٣ .

حكم التحاق بنى المسلمين وبناته فى مدارس الفير العصرية وتقويتها :  
ولا شك أن المدارس العصرية للنصارى تعرف في الناس باعتبار التعليم الجيد ، وتتال بقبول عظيم في أوساطهم وبينهم باعتبار منهج التدريس الممتاز الخلاب ، وبأحسن طراز عصري ، لذا تلتف أنظار أولياء الطلاب إليها ، ولكن لا يتخرج فيها الطلاب إلا أنهم يصيرون ملحدين زنديقيين ، وتفشى عقولهم وأذهانهم الشكوك والشبهات المضلة .

ويقى تلك الأوضاع الراهنة لا يسمح الشرع الإسلامي للمسلمين أن يلحقوا أولادهم بمثل المدارس العصرية المذكورة أعلاها ، التي هي مهد الحضارة الغربية المضادة دينهم الإسلام ، لأنه كما يفرض على المسلمين أن يقيموا أولادهم على الصراط المستقيم ، وينقدوا أنفسهم وأبناءهم من الوقوع في النار ، بما قال الله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْمًا أَنفَسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارٌ** ( التحرير : ٦ ) .

ثم المقصود الأول الأعظم من مقاصد الشريعة الإسلامية النيرة الخمسة الكبرى : حفظ الدين ، فإذا لم يؤمن دين الأبناء وإيمانهم وع قائدهم الإسلامية الرئيسية في المعاهد التعليمية المذكورة أعلاها ، فكيف يصح إلحاقهم بها شرعاً ؟

وأما تشجيع مثل تلك المدارس العصرية وتقويتها بأساليب شتى ، وتحريض الناس أن يلحقوا أبناءهم بها ، فلا يجوز ذلك ، لأنه ما يكون من نوعاً في الشرع الإسلامي ، يمنع ارتكابه والتعاون عليه وتحريض الناس على اغترافه ، بما جاءت قاعدة فقهية : "ما حرم فعله حرم طلبه" ، ونطق القرآن الكريم مشيراً إليه : **وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى إِلَئِمٍ وَالْعَدُوْنَ وَأَتُقْوَأُمْلَأُهُمْ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ( المائدة : ٢ ) .

والهدف العظيم الرئيسي من التعليم أن يعرف العبد ربه ، والتعليم الذي يضلله من الصراط المستقيم ، ويصرفه من معرفة الله تعالى ، ليس تعليماً تافعاً حقيقة إلا تعليم الضلال في كلية فرعون وهامان ، وقد بين الله عز وجل مقصود التعليم بقوله : **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِيَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ( الفاطر : ٢٨ ) ، ليس المراد في قوله تعالى : **(الْعُلَمَاءُ)** العلماء المتخرجون في المدارس الدينية الفراء اليوم .

١- الأشباء النظائر لابن نجم المصري : ١٠٥ / ١ .

فالحاصل أن العلوم والفنون التي تؤدي أصحابها إلى الضلال من الكفر والشرك والإلحاد ، لا يجوز تعلمها ولا تعليمها ، ولا يجوز إلحاد الأولاد ولا الالتحاق بالمدارس العصرية التي يدرس فيها الموسادا لتعليمية المضلة المنحرفة عن الصراط المستقيم ، وترد المسلمين بعد إيمانهم إلى الكفر والشرك والعقائد الباطلة ، ولا يجوز تحريض الناس أن يلحقوا بها أبناءهم - بل يجب على المسلمين أن ينشئوا مدارس عصرية بديلة تعديل مدارس النصارى وغيرهم من غير المسلمين العصرية في مستوى التعليم الرفيع ، والتربية المثلية ، والمنهج الدراسي ، والأسلوب التعليمي الخالب ، وما إلى ذلك في كل شيء .

#### حكم حقوق الزوجة الكتابية وتطليقها :

وإن تزوج أحد من المسلمين كتابية ، فعليه حقوقها مثل حقوق الزوجة المسلمة ، لأن علة وجوب حقوقها على الرجل الزوجية وحبسها عنده للاستمتاع ، وهما مشتركتان فيها .

وقد ذكر القرآن الكريم حقوق الأزواج على الرجال مطلقاً بلا تعرض للفروق بين الكتابيات والمسلمات ، فقال تعالى : **وَلَهُنَّ مِثْلُذُنِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** (البقرة : ٢٢٨) ، ثم أمر الله تعالى بحسن المعاشرة بالأزواج ، ولم يفرق بين المسلمات والكتابيات بهذا الخصوص ، فقال تعالى : **وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تُكَرِهُوْا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** (النساء : ١٩) ، فلا يجوز للزوج المسلم أن يطلق زوجته الكتابية بناءً على أنها غير مسلمة ، أو أن يفر منها تاركاً إياها متخلفاً من أداء حقوقها ، فلا بد للزوج المسلم أن يعامل معها معاملة حسنة ، ويعاشرها بالمعروف ، والمعلوم : هو جميل العشرة ، دائم البشر ، فينبغي للرجل أن يداعب زوجته ، ويلتطف بها ، ويوسعها نفقة ، ويضاخنكها ، ويسمر معها قبل أن ينام ويؤانها بذلك ، ولا يقسوا عليها إذا صدر منها التقصير في حقه ، ويناسب له أن يقابل منه بالصفح الجميل ، وبالمسامحة الكريمة ، ويوبي في حقها من المهر والكسوة والنفقة ، وأن لا يعبس في وجهها بغير ذنب ، وأن يكون منطلاقاً في القول

١. مغني المحتاج : ٢ / ١٨٨ ، المبسوط للسرخسي : ٥ / ٢١٨ ، المغني لابن قدامة :

. ٣١ /



لا فظاً ولا غليظاً ، ولا مظهراً ميلاً إلى غيره ، والحاصل أن يكون كل منها مداعة سرور الآخر وسبب هنائه في معيشته<sup>١</sup> .

**هل يجوز للزوجة الكتابية أن تعامل بمعذبها في بيت الزوج المسلم؟**  
قال الإمام مالك : "ليس للرجل أن يمنع امرأته النصرانية من أكل الخنزير وشرب الخمر والذهب إلى الكنائس إذا كانت نصرانية<sup>٢</sup> .

يستفاد من قول الإمام مالك أن نساء أهل الكتاب يجوز لهن أن يعملن بمعذبها مطلقاً في بيوت أزواجهن ، ولا يمنعهن الأزواج المسلمين من إنجاز أمور دينية وفق مذهبهن اليهودي أو النصراني .

وجاء في الفتاوى التاتارخانية معزياً إلى التجريد من الفقه الحنفي :  
قال في النصرانية تحت المسلم لا تنصب في بيته صليباً ، وتصلي في بيته حيث شاءت<sup>٣</sup> . تفیدنا تلك الجزئية الفقهية أن الشعائر الدينية كالصلب وتمثال عيسى عليه السلام أو مريم لا يجوز للزوجة الكتابية أن تصصبها في البيت ، وليس لها بأس في العمل بأمور أخرى من دينها .

#### خلاصة البحث :

١ - **الكتابي** : هو الذي يؤمن بنبي مرسى ، ويقر بكتاب سماوي منزل من الله تعالى ، سواء كان موحداً أو قائلاً بـأن عزيزاً ابن الله إن كان يهودياً ، وبـأن المسيح ابن الله إن كان نصرانياً .

٢ - **الصابئون قومان** : قوم موحدون مؤمنون أتباع يحيى أو إبراهيم عليهما السلام - أو طائفة من النصارى ، وقوم مشركون ، والقوم الأول من أهل الكتاب عند جمهور العلماء .

٣ - **الصابئون** يجدون الآن في العراق ، ويدعوهم الناس بالصابئين ، ولكن ليس فيهم أحد من أهل الكتاب باعتبار العقيدة والأعمال .

١ . أحكام القرآن للجصاص : ٢ / ١٠٩ ، الكشاف للزمخشري : ١ / ٤٩٠ ، مفاتيح الغيب للرازي : ٥ / ١٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٥ / ٩٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١ / ٤٦٦ .

٢ . المدونة الكبرى : ٢ / ٢٢٦ .

٣ . الفتوى التاتارخانية : ١٨ / ٢٩٨ .

- ٤ - من يؤمن بالله ويعتقد بوجوده ويقر بالنبوة والوحى والملائكة والأخرة ، وإن كان ينكر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهم من أهل الكتاب في هذا الزمان أيضاً ، ويعامل معهم كمعاملة اليهود والنصارى في عهد الرسالة والصحابة في حل ذبائهم ونكاح نسائهم ، ومن لم يكن كذلك لا يعد من أهل الكتاب في نظر الشرع الإسلامي .
- ٥ - يكره النكاح للMuslimين من نساء أهل الكتاب في دار الإسلام في الأوضاع الراهنة في العصر الحاضر مع الجواز .
- ٦ - وفي الدول الغربية يجوز النكاح للMuslimين المقيمين بها من نساء أهل الكتاب مع الكراهة .
- ٧ - إذا رجى إسلام كتابية رجاءً قوياً بحيث تدل القرائن وأحوالها الذاتية على ذلك ، جاز النكاح منها للMuslim بلا كراهة من جهة نظرة الدعوة .
- ٨ - لا يجوز للأسيير Muslim في الدول غير الإسلامية النكاح من الكتابية .
- ٩ - القاديانيون ليسوا من أهل الكتاب ، بل هم كفار باتفاق علماء الأمة ، لا تحل ذبائهم ولا مناكمتهم للMuslimين .
- ١٠ - لا نصدق بكتب الهندوس الدينية المسماة بـ "ويد" أنها سماوية أنزلت من الله عز وجل ، ولا نكذبها ، كذلك لا نصدق أن أوتارهم - أي الشخصيات المذهبية - رسول من الله عز وجل ولا نكذبهم .
- ١١ - لا يجوز التحااق بنى المسلمين وبناتهم بمدارس النصارى وغيرهم العصرية وتقويتها ، وترغيب الناس إليها ، التي تدعى طلابها إلى مذهبها واتخاذ الحضارة ضد الإسلام .
- ١٢ - تجب حقوق الزوجة الكتابية على Muslim مثل حقوق الزوجة المسلمة .
- ١٣ - يجوز للزوجة الكتابية أن تعمل بمذهبها في بيت الزوج المسلمة ، إلا أنها تمنع من إظهار شعائر دينها كنصب الصليب وغيرها .



## أخذية جزيرة العرب وموارئها

بقلم : العالمة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي

تعريب : محمد فرمان الندوبي

### أثرقلة المياه :

لم تكن في جزيرة العرب ذريعة عامة وكبيرة للمياه ، بكثرة الصحاري والمناطق الجافة ، ولم يكن فيها بحر ، وكانت الأرض الصالحة لحفر الآبار قليلة ، وإن مناطق جزيرة العرب التي لم تكن صحراء تماماً تتعرض لقلة المياه ، إلا أن الأراضي التي تتوافر لها المياه وتتجذب فيها ، أو ممرات الأودية التي تسيل منها مياه السيول ، يعد نزول الأمطار ، يمكن حصول الماء فيها بحفر الآبار ، وتوجد في الأماكنة عيون قصيرة ، ويجتمع ماء المطر في حفر جبلية إلى مدة ، هذه هي وسائل المياه التي توافرت عند العرب .

كان تأثيرقلة المياه على حياة العرب ، ولكن كانت الزراعة في مناطق تتفجر منها ينابيع الماء ، أو تكون أرضها صالحة لحفر الآبار ، تعرف هذه الأرض بالواحة ، التي تعبّر بأرض ذات نخل ، فتثبت في الأراضي العامة أشجار صلبة أو تثبت بنباتات في الأرض التي تكون أكثر جفافاً ، مثل السمرة ، التي ورد ذكرها في كتب السيرة النبوية والأدب العربي .

### الغذاء :

لم يكن في جزيرة العرب زراعة الأرز ، وكانت زراعة الحنطة في مناطق خاصة ، وكانت نسبة النخيل كبيرة فيها ، و يؤكّل الشعير كثيراً في المواد الغذائية ، فكانت التمر والشعير في الشريعة الإسلامية مكانة غذاء واحد ، وكان اللبن والإقطّ والأعناب الجافة في عداد غذاء عام أيضاً ، وكانت الحيوانات متوافرة حسب الحاجة ، وكان استعمال اللحوم أيضاً كثيراً . وقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن اللحم أنه سيد الطعام ،<sup>١</sup> وكان العرب يأكلون اللحوم قليلاً وشواءً ،

<sup>١</sup> عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (سنن ابن ماجه ، رقم الحديث : ٢٣٥٠) .

بشوق بالغ ، وكان لحم الإبل في الحيوانات أكثر أكلًا في الغذاء ، ثم الصأن والفنم ، كان العرب يؤثرون لحوماً ذات شحم حسب أدواقهم ، فكان أشهى اللحوم إليهم ، وكانت تستوي في حاجة الشحم ، فكان استعمال السمن قليلاً ، فيذكر اللحم كأشهى طعام ، واللحم ذو الشحم كأجود لحم ، فتوجد إشارات واضحة له في أبياتهم ، وفي الأمثل العربية: ما كل بيضاء شحمة ، وما كل سوداء تمرة .<sup>١</sup>

يقدر ثمن الحيوانات في العهد النبوي أن بعيراً واحداً ، كان في ٨٠ درهماً ، كما أن غنمًا في عشرة دراهم ، وعشرة دراهم تساوي ثمن ثمانية وعشرين غراماً من الفضة ، والخبز يطبع عامة من الشعير ، وكان استعمال الحنطة علامه للثراء ، ويظهر الفرق بين ثمن الحنطة والشعير أن الشعير والتمر في صدقة الفطر وضعا في كفة ، والحنطة ضعفين في كفة أخرى ، وكان الخضار أيضاً في الغذاء ، وكانت الدباء أعزب لحماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،<sup>٢</sup> فكان اللحم والتمر ، بمثابة إدام في الغذاء ، إلا أن شيئاً متواضعاً يتناول كالإدام مع الخبز ، مثل الشحم ، أو الحلاوي ، وكانت الخبيصة كثيرة الاستعمال ، كما أن مدحوق الشعير يستعمل أيضاً .

#### العملات النقدية :

كان استعمال العملات النقدية ، يكون العرب قليلاً الثقافة ، وكانت تتبادل الأشياء أيضاً ، وكانت الإبل عامة مكانة العملات النقدية في الشؤون المهمة ، وكانت الإبل تعطى في الديمة ، وإن ثمن دية في الأوراق النقدية ، ثمانية آلاف درهم ، وهي تعادل ثمن مائة إبل .

وكانت العملات صيغت في الروم وفارس ، وتستعمل أيضاً مثل الأموال المستوردة ، فسبكت من الفضة ، وكانت كلمة الورق أو الورقة

<sup>١</sup> جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، ج ٢ / ٢٨٧ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٨ م .

<sup>٢</sup> قال أنس بن مالك : إن خياطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ل الطعام صنعه ، قال أنس : فذهب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام ، فقرب إليه خبزاً من الشعير ، ومرقاً فيه دباء ، قال أنس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدباء من حول القصبة ، فلم أزل أحب الدباء بعد ذلك اليوم . ( المؤطأ ، باب ما جاء في الوليمة / ١١٣٩ ) .

تستعمل للعملات ، قال الله عز وجل : فَابْعُثُوا أَحَدَكُمْ بِوْرِقَكُمْ هَذِهِ  
الكهف : ١٩ .

إن الأوراق التي تستعمل لدى العرب منذ بزوغ شمس الإسلام هي الدرارهم والدينار، وكانت الدرارهم من الفضة ، والدينار من الذهب ، وكانت نسبة ثمانينهما أضعاف عشرة ، فإن عشرة درارهم تساوي ديناراً ، وكان مدار الثمن بناءً على النحاس ، الذي تسبيك منه هذه العملات ، كأن أساس الثمن هو الذهب والفضة ، اللذان يسبكان في صورة العملات كأداة للبيع والشراء ، وقد اختلف المقياس في العصر الراهن ، فإن الذهب هو النحاس الذي يكون أساس العملات .

وبسبب حدوث الفرق بين موازين قديمة وحديثة ، تبدل الطريق أيضاً ، فكانت نسبة الثمن بين الذهب والفضة وقت ظهور الإسلام واحداً وسبعة أضعاف ، وقد تغير الآن ، فصارت نسبة ذلك واحداً وخمسين ضعفاً .

كان في بداية الإسلام سبعة وسبعون غراماً فضة ، تساوي أحد عشر غراماً ذهباً ، وكان مقدار نصاب الزكاة للذهب خمسة وثمانين غراماً ونصف غرام ، ونصاب الزكاة للفضة سبعة أضعاف ، ١٢ - ٥٢ ، و٥٩٥ غراماً ، الذي كان ٢٠ / مثقالاً ، ومائة وأربعين مثقالاً باعتبار موازين العصر القديم .

إن المثقال يستخدم لوزن الذهب والفضة ، فكان وزن مثقال أربعة غرامات وريعاً ، وكان وزن درهم حوالي ثلاثة غرامات فضة ، وكان وزن دينار واحد أربعة غرامات وريعاً من الذهب ، وبالنظر إلى المثقال كان وزن درهم سبعة مثاقيل ، وزن دينار مثقالاً واحداً .

ويناسب أن يفهم سعر الدرهم نظراً إلى أوراق العصر الحاضر أن ثمن ١/٤ فضة يعتبر درهماً واحداً ، مثل ثمانين روبيات هندية ، هذا بناءً على سعر الفضة ، وهو أقرب إلى الصواب ، لأن سعر الذهب قد تفاقم ، فإذا كان بناؤه على الذهب كان ذلك نسبة متفاوتة .

وبناءً على الفضة كان وزن دينار واحد في العصر القديم يساوي عشرة أضعاف ، يعني ثمانين روبية ، ولكن إذا استخرج بالنظر إلى النسبة الحالية ساوي ذلك أربع مائة روبية ، اعتبر علماء الشريعة الفضة

أساساً للزكاة عندما اجتمع الذهب والفضة ، فإذا كان عند مسلم مقدار ٥٩٥ غراماً من الفضة ، وحال عليه الحول ، ففرضت عليه الزكاة . كانت تستعمل حبات الخردل أو الشعير أقل من المثقال لوزن الذهب والفضة ، لكن يحدث أحياناً فيها اختلاف ، لكن الحبات القديمة والجديدة تختلف في الوزن ، وترتفع وتتحفظ أسعارها نظراً إلى الطقوس ، فحدثت مثل هذه الاختلافات في شئون بعض التجارة ، وكانت تستعمل الأوقية التي تساوي ٤٠ درهماً ، والدرهم الذي يساوي ٢٩٧ غراماً ، والدانق الذي يعادل  $\frac{1}{6}$  من الدرهم ، والقيراط الذي يساوي  $\frac{1}{2}$  من الدانق .

#### موازين الكيل والوزن :

كان للتجارة نفاق في مكة المكرمة ، وللزراعة شيوع في المدينة المنورة ، فالفارق الأساسي بين شئونهما أنه قد عمت موازين الوزن في مكة المكرمة ، وشاعت موازين الكيل في المدينة المنورة ، ويوجد اختلاف في الموازين حسب المناطق ، وتوقياً من هذا الاختلاف اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم للكيل مكيال أهل المدينة أصلاً ، وللوزن ميزان أهل مكة ، لأنهم كانوا يستعملونهما بالانفراد .

من مكاييل أهل المدينة المد الصاع والوسيق ، المد هو حفنةان من ماء أو ميرة ، وهما لرجل متوسط ، وأربعة أمداد تساوي صاعاً واحداً ، وستون صاعاً يساوي وسقاً واحداً .

وبما أن هناك اختلافاً في بيان مقدار الصاع والمد ، لأن الحنطة تختلف ، ويختلف كذلك وزن الميرة والماء ، فوردت صورة أقرب للجمع بين الأقوال المختلفة .

إن مداً يساوي وزن ٥٤٤ / غراماً للحنطة ، أو ٨١٦ / غراماً للماء ، وصاعاً يساوي ٢١٧٦ / غراماً من الحنطة ، أو ٢٢٦٤ غراماً من الماء ، فالمقدار الأول الذريكون  $1\frac{1}{3} - 5$  أرطال ، وأخر الذكر ٨ / أرطال ، واعتبر عند الأحتفاف وزن ٨ / أرطال أصلاً ، وتوزن الميرة بهذا الوزن ، فكان مقدار نصف صاع من الحنطة في صيغة الفطر ١٦٣٢ / غراماً ، ومقدار صاع من الشعير أو التمر ٣٢٦٤ غراماً ، وكان مقداره بترتيبها حوالي اثنى كيلو غرام إلا ربعاً ، أو ثلاثة كيلات إلا ربعاً .

لم يكن وزن الفرام من قبل ، فكان الرطل يستعمل للميرة والماء ، إن المقارنة بين الرطل والfram تبين أن رطلاً واحداً كان أقل من ٤٠٨ / غرامات أي نصف كيلو غرام .

إن الدرهم يساوي ثمن  $\frac{1}{4}$  من الفضة ، وكان مكياً من حيث الوزن ، يساوي ٢٩٧ / غراماً ، ويعتبر ورقاً مع الدينار ، وزناً مع الأوقية والرطل ، وينضم إلى الدرهم ستة دوانق و ١٢ / قيراطاً .

طرق الاقتصاد :

إن أمكنة جزيرة العرب التي تقع على سواحل البحر كانت فيها تجارة وصيد الأسماك ، واستخراج اليواقيت ، وهي طرق سادت سواحل مناطق غير حضراء ، وفي داخل البلاد حيث كانت أرض النخيل ووسائل السقي توجد فيها الزراعة والفلاحة ، ف تكون عمران صغير في مثل هذه المناطق ، وتتفق وطبيعة الbadية وتختلف منها اختلافاً ، وتكون هذه الأمكنة في أرض ذات نخل أو أودية حضراء ، فمن أشهر الأمكنة في الحجاز المدينة المنورة ، والطائف وتيماء وخيروقدك ، ومن الأمكنة غير الحضراء كانت مكة المكرمة أكثر شهرة ، لكن طريقة اقتصادها كانت التجارة .

كانت هنا ثكنات صغيرة على سواحل البحر ، وكان اقتصادها صيد السمك ، أو التعاون في التجارة والرحلات البحرية ، وخاصة مكة والمدينة وبعض موانئ الحجاز .

أما المناطق التي تسع التطورات الاقتصادية ، التي كانت خصبة وخضراء فيأتي فيها جنوب اليمن ، وجنوب شرق اليمن .  
التجارة :

لم يكن في شمال العرب نظام آخر للتجارة غير الأسواق ، فإن العرب كما مر في الفصول السابقة يمتهنون الحرف والأعمال التجارية ازدراً واحتقاراً ، وكانت في جنوب العرب الثقافة ، فاستمرت عندهم التجارة أيضاً ، وكانت لهم مساهمة بارزة في التجارة المنطقية ، تشق طريقان للتجارة في جنوب جزيرة العرب ، إحداهما شرقية ، تندو وتروح منها قوافل تجارية مروراً بعمان والأحساء والحيرة ، إلى أسواق الشام ومصر ، وأخرهما غربية ، تذهب منها قوافل تجارية مروراً بمأرب

وصنائع ومكة والبطراء وغزة ، بأموال التجارة ، وتروح ، فتصل بضائع جنوب جزيرة العرب إلى مدن وأسواق الشمال ، وتصل بضائع شمال جزيرة العرب التي هي من إنتاجات روما ومصر إلى جنوب جزيرة العرب .

كان أكثر التجار على الشارع الأول من سكان سواحل عمان ، فيأتون من الساحل إلى الهند ولنكا وإلى مناطق أخرى ، بالسفن الشراعية ، فيستوردون منها التوابيل والجواهر والجلود والأسلحة ، ومن الصين الحرير والأواني وغيرها ، ثم يأتون إلى عمان فيشترون من سواحلها اليوافيت ، ومن داخلها التمر والفرس ، ويدهبون ببعض معادن نجد إلى شمالها ، ثم يصلون إلى الحيرة مروراً بالأحساء ، ثم يأتون إلى تدمر مروراً ببادية الشام ، ثم يصدرون البضائع من تدمر إلى دمشق ومدن أخرى من الشام ، و يجعلون دجلة والفرات محطات تجارية في نقل البضائع .

وكان أول التجار على الشارع الثاني أهل سبا ، فقد اشتعلوا بالتجارة وربحا فيها ربحاً كثيراً ، فوسعوا نطاقها وطوروها ، حتى صاروا أكبر الشعوب تجارة في عهدهم ، ولما زالت شوكتهم بسيل العرم خلفتهم حمير وتبعتها قبائل أخرى وانتفعوا بالتجارة كثيراً .

تصل قواقل تجارية إلى الهند وسواحل إفريقيا الشرقية ، وتستورد منها الذهب والفضة ، وأسنان الفيل ، والقرد والطاوس والتوابيل المتنوعة والكافور والزعفران والحرير والبضائع الأخرى ، وتضم إليها بضائع بلادها ، ولا سيما بضائع حضرموت واليمن ، فيها بعض عطورات حضرموت ومعادنها ، وتستورد في ذلك العصر كمية كبيرة من العطورات والعود ، في حضرموت ، هي تحرق عامة في المساجد ومعابد الهندوس ، تبدأ هذه القواقل التجارية رحلتها من مأرب ، حيث تتضمن إليها قواقل تجارية من ظفار حضرموت (جنوب غرب عمان حالياً) ، وتمر هذه القواقل بطريق بري قرب البحر الأحمر ، خروجاً من مأرب ، وتحتاز في هذا الطريق صنعاء ومكة والمدينة والبطراء ، وبصري وغزة وغيرها ، وأقاموا محطات سكنية وتجارية في أشجار النخيل التي تكون فيها مستودعات ومعابد ، وقد تطورت هذه المحطات أيضاً بمرور هذه القواقل ، وصار هذا الطريق التجاري أيضاً مهماً ومرحباً ، تباع هذه البضائع الشرقية في أسواق البطراء ، وتنكشف هنا أموال البلدان الشمالية والغربية، وينتظر رجال الغرب بضائع الشرق بفارغ

الصبر ، ويتمكنون اشتراها ، فتستهلك وتباع هذه البضائع كثيراً ، ورجوعاً منها يستورد التجار العرب البضائع الغريبة ، التي تكون الثياب الذهبية والسجاجيد والدهون والأسلحة ، هذه القوافل تذهب إلى دمشق مروراً ببصري بعد البطراء في الشمال ، وتارة تذهب إلى مصر مروراً بغزة ، فتطورت مدينة البطراء بهذه التجارة ، فساهمت حكوماتها المختلفة في تجاراتها مساهمة بارزة ، وكسبت مدينة تدمر أيضاً من هذه القوافل التجارية فوائد كثيرة ، وربح أهل مكة التي كانت إحدى محطات قوافلها التجارية منها ريشاً كثيراً ، وحينما ضفت أمم العرب في هذه التجارة بدأت قريش تجارة واسعة .

وبعد مدة أصيبت سبأ بكسراد تجاراتها ، ومن أعظم أسبابها أن أمماً آخرى بدأت التجارة ، ولا تزال تندو وتروح قوافلها التجارية من البحر الأحمر ، فلم تبق قيمة للطرق البرية في سبأ ، فزال احتكار سبأ على التجارة ، وفي عهد سبأ كان يتجر بنو أعمامهم حمير على ساحل اليمن في جهتهم الغريبة ، لكنهم لم يكونوا متقدّمين في التجارة بإذاء سبأ ، كذلك كانت تتجر بعض قبائل قحطان في جنوب شرق اليمن ، فلما بدأت تمر قوافل التجارة بالبحر الأحمر زالت شوكة سبأ ، لكن انتفع بها تجار حمير الذين كانوا على الساحل ، وقد ساهمت كثيراً في هذه التجارات أهل البطراء ، ثم أهل تدمر في فترات مختلفة ، غير سبأ وحمير وأهل حضرموت ، وطوروها تطويراً .

تولى الإشراف على هذه القوافل إلى القرن السادس المسيحي أهل اليمن ، ثم قريش ، وكان الفضل يرجع إلى تولية قريش أحد أجداد النضر بن كنانة ، كما كان موقع قريش ومكة ومكانتهما أيضاً له فضل كبير، لأن قريشاً كانوا في مكة ، ولأن مكة أكبر محطات الطرق التجارية سابقاً وأوسطها ، غير أن أمماً آخرى تهتم بصيانتها للمرور بجزيرة العرب ، وتقدم مكوساً لها ، ولا تحتاج قريش إلى اتخاذ تدابير لصيانة قوافلها ، ذلك لأنهم كانوا سدنة بيت الله الحرام ، فتولت قبائل محلية صيانة قوافلها ، رغم أن القوافل الرومية والإيرانية لا يمكنها استيراد البضائع إلى جزيرة العرب إلا بالمكوس والضرائب ، وإذا خالفوا هذا النظام نهبت قوافلها ، وسلبت أموالها ، فالقابلة التجارية التي تأتي

من الحيرة إلى سوق عكاظ تسمى باللطيمة ، ونشبت حرب الفجار في شأن هذه اللطيمة ، على كل ، فإن قريشاً يأتون الشام واليمن للتجارة ، فتنتقل بهم بضائع الشام إلى اليمن وحضرموت وبضائع اليمن وحضرموت إلى الشام ومصر ، وتارة تذهب قوافلها إلى الحبشة وإلى إيران أيضاً وقد سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين للتجارة ، وذهب في سفره إلى بصرى في الشام .

كان أغلب بضائع قريش الفضة والجلود ، فالجلود تستورد من الطائف ، وكانت هناك تجارة لأشياء أخرى أيضاً ، والأقمشة تستورد من اليمن ، والميرة أغليها من الشام ، وبعضها من اليمن أيضاً ، تستورد الخمر من الشام ، وخاصة من رأس بيت ، والأندرلين ، قال عمرو بن كلثوم :

ألا هبَّ بصحنك فاصبحينا

ولا تبقي خمور الأندرلينا

ورد في كتب التاريخ والأدب أن الأقمشة وخاصة البرد كانت من اليمن ، وكانت الأقمشة المنسوجة في اليمن موضع تقدير لدى الجميع ، لأن فيها خطوطاً ومعالم ، ونسبت بعض أنواع الأقمشة إلى قطر ، وقد اشتهر السيف اليمني ، وذلك باسم اليمني ، كما نسبت السيف إلى بعض مناطق مرتفعة في الشام ، فسميت بالشرقية ، وينسب العرب أجود الرماح إلى شرق سواحل جزيرة العرب وهو الخط ، فسميت الرماح بالرماح الخطية ، وكان في منطقة الخط صانعان شهيران للرماح : سمهر وردنية ، فكان الأول رجلاً ، والثاني امرأة ، فسميت الرماح بأسمائهما ، وكانت منطقة مهرة في حضرموت شهيرة في الخيول والإبل ، فتنسبان إليها أيضاً .

لما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة المنورة اشتغلوا بالتجارة فيها أيضاً ، رغم أن الأنصار كانوا أهل مزارع وحقول ، وكان في عوالي المدينة المنورة مكان باسم السنح ، حيث كان مصنعاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لنسج الأقمشة ، وورد في كتب السيرة أن قوافل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه التجارية تأتي ببضائع كثيرة إلى المدينة المنورة ، وإن الرشوة التي أرسلتها قريش لا سترداد المهاجرين إلى الحبشة كانت تشتمل على الجلود .

إن القبائل التي كانت على شوارع رئيسة للتجارة في جزيرة العرب شاركت في التجارة كثيراً واستفادت منها استفادة بالغة ، لكن القبائل التي تبعد عنها لا علاقة لها بالتجارة .  
الزراعة :

إن المناطق التي كانت خصبة وخضراء عممت فيها الزراعة ، فكانت فيها بعض مناطق اليمن وعمان واليمامة وبعض نواحي شمال نجد ، استفاد سكان اليمن من خصوبة بلادهم ، فكانت الزراعة والري أكبر عامل في تطور سبا ، الذي سبق ذكره في سبا ، أما خارج هذه المناطق فكانت وسائل الزراعة في بقية جزيرة العرب قليلة ، وكانت في أرض ذات نخل وقرب ينابيع الماء ، يجدر بالذكر هنا المدينة المنورة والطائف في الحجاز ، فكانت الزراعة أوسع حرفه في المدينة المنورة وتوجد أراض ذات نخل من المدينة المنورة إلى الشام ، حيث كانت ثكنات زراعة عامة ، وكانت في نجد والأحساء خارج الحجاز أراضٌ خالية ، وأمكانيات واسعة لتطوير الزراعة ، ولا شك أن بعض مناطقها تحمل شهرة بانتاجاتها وخصوصيتها ، فكانت تبت كمية كبيرة من التمور في اليمامة ، وجنوب شرق بادية الشام ، والمدينة المنورة ، وكانت لها أكثر من مائة نوع في المدينة المنورة .

ترعرع هنا أشجار مثمرة متعددة غير التمر ، خاصة العنب والرمان ، يكثر نباتهما في المدينة المنورة والطائف ، كما أن في بلدة شمر من شمال نجد زراعة جيدة للأشجار المثمرة ، وكانت منطقة القصيم من نجد ، والعسيرة في بعض مناطق الأحساء ، وفي عمان واليمن زراعة جيدة للأشجار المثمرة أيضاً ، وهي تبت في مختلف مناطق جزيرة العرب ، كما أن الحنطة تبت في العسيرة ، رغم ذلك كله كانت طبيعة جزيرة العرب العامة بحيث تقل فيها نسبة الزراعة .



## الاتجاه الرومانتي في شعر غارٍ القصبي

\* بقلم : د . محمود حافظ عبد الرب مرزا

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلام على سيد المرسلين،  
سيدينا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين وبعد :

فقد طفى مصطلح الرومانسية على الشعر العربي بشكل عام في مطلع العصر الحديث ، وكان حضوره قوياً جداً في بداياته في مصر وببلاد الشام بالتحديد لتأثير هذين القطرين بالثقافات الفريدة الوافدة من جهة ، وتطور وسائل الحياة فيما من جهة أخرى ، الأمر الذي جعل هذين القطرين أسبق من غيرهما من الأقطار العربية تأثراً بالمناخ الأدبي الحديثة . في حين ظل الأدب الجديد في قلب الجزيرة العربية بمنأى عن تلك المؤثرات حقبة من الزمن لعوامل مختلفة وعديدة ، إلى أن بدأت عوامل الازدهار تكتسح جمود التقليد والإغراق في الصنعة والنظام مع بداية توحيد المملكة العربية السعودية على يد المغفور له بإذن الله ، جلاله الملك / عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه ، الذي تحمل أعباء النهوض بالبلاد ، والاهتمام بطلعات أبنائه من خلال التركيز على التعليم والتربية بشكل كبير ، وبالتالي انتشرت المدارس في مختلف أنحاء المملكة ، وببدأت الحركة الأدبية تشهد منذ عصره نهضة شاملة ، استمرت على و涕رة تصاعدية مع مرور الأيام والأزمان . فكان لا بدّ من أن يحدث التطور التدريجي في الشعر السعودي أيضاً شكلاً ومضموناً . وهكذا بدأ الشعر السعودي يثبت جدارته وقدرته على التأقلم مع الاتجاهات الجديدة والوصول إلى ذروة الكمال الشعري تدريجياً ، ويرز شعراء استطاعوا أن يذهلوا النقاد بشعرهم الذي لامس عنان السماء .

ومن الملحوظ أن الأدباء السعوديين تأثروا بما قرأوا من أدب الأمم الأخرى ، وكان لديهم شعور قوي بعدم وجود مجال للتعبير عن آلامهم

\* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية والفارسية ، جامعة الله آباد . (الهند)

وآمالهم وفق تطلعاتهم المنشودة ، حيث كان هناك انقسام بين الشعراء وبين مجال التعبير عن أمني المجتمع وتجسيد خلجانه وإصالها للجمهور ، لأنّه كان هناك فارق ثقافي هائل بين الأدباء وبين الشعب ، الأمر الذي أدى بالأدباء والشعراء إلى أن ينطلقوا فيما ينتجون إلى مسارِ الطبيعة ومجاريها الحلوة الفاتحة مع أحلامهم وأمنياتهم ورغباتهم حيناً ومع سواد الحياة الذي يجعل آفاقهم ويملؤها باللوعة والأنين حيناً آخر<sup>١</sup> .

ومما لا شك فيه أن ظهور التيار الرومانسي في قلب الجزيرة العربية كان نتيجة لعوامل تشبه وتماثل العوامل التي أدت إلى ظهوره في الغرب ، ومن أهمها ، حياة القلق والاضطراب التي كانت تسود العالم العربي بشكل عام ، وشعور الأدباء بتأخّل المجتمع وبكونه عائقاً كبيراً في تحقيق مأربهم وآمالهم ، واصطدام المطامع العظيمة في نفوسهم بالعقبات والسدود ، الأمر الذي دفعهم إلى أن يتمسوا لهم مهرباً يفرُون إليه من واقعِهم المريئ فلاذوا بالطبيعة يبتثون شكاوِيهم ويتجاوبون وإياها تجاوباً روحيَا حزيناً ، فضلاً على ذلك ، سعوا إلى التحليق في سماء الخيال والهيمان بأودية الرؤى والأحلام والأوهام والسباحة بأرواحهم فيما وراء الطبيعة . ومع كل هذه العوامل فإن مدرسة المهجـر ومدرسة الديوان ومدرسة أبوـلـو لعبت دوراً ملماً في تأثير الأدباء بهم واندفعهم إلى هذا الاتجاه الجديد<sup>٢</sup> .

ومن البديهي أن الاتجاه الرومانسي يعتمد على القلب والعاطفة معاً ، فضلاً عن أنه يطالب بالتحرر من القواعد والتقليد ، ويفكـد على الأهمية التقليدية والفنائية ، ويحترم ذاتية الفرد ، في حين يستمد الشعراء الرومانسيون صورهم من نهر الأحلام الحالـم ، ويعـيلـون إلى أحـلامـ اليقـظـةـ والغمـوضـ ، ويعـوضـهمـ خـيـالـهمـ عـمـاـ فقدـوهـ فيـ دـنـيـاـ الـوـاقـعـ ، ويسـعـونـ إـلـىـ الـهـرـوبـ منـ الـوـاقـعـ . ويـمـتـازـ الـاتـجـاهـ الرـوـمـانـسـيـ بـكـونـهـ أـدـبـاـ ثـورـيـاـ وـتـحرـرـيـاـ يـحـثـ عـلـىـ اـسـتـعـمـالـ الـلـغـةـ الرـقـيقـةـ السـهـلـةـ وـالـاقـتـرـابـ منـ تـبـيـرـيـةـ الرـيفـيـنـ . ومن أهم غـيـاـيـاتـهـ نـشـدـانـ الجـمـالـ وـالـاسـتـجـابـةـ لـلـعـواـطـفـ ، فـضـلاـ عـنـ أـنـهـ يـعـتـبرـ

١ عبد الله بن إدريس ، شعراء نجد المعاصرون ، ص ٣٨ .

٢ بـكـريـ شـيخـ أـمـينـ ، الـحـرـكـةـ الأـدـبـيـةـ فيـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـودـيـةـ ، ص ٣٨٧ .

تمرداً على فلسفة المحاكاة وتقليد الطبيعة ، بل ينادي بأن الأدب خلق وإبداع .

ويرى الشعراء الرومانسيون أنفسهم عباقرة ومصلحين في الوقت نفسه ، ويررون أن للشعر رسالة إنسانية سواء أكان في مشاعره الذاتية والمواضيعات التي تخصه كالحب ، والحنين إلى الطفولة والدفاع عنها أو الحنين إلى الأم أو الحنين إلى الديار والوطن ، أم في الموضوعات التي تخص المجتمع الذي يعيشون فيه والمجتمعات الإنسانية كافة ، ويتجلى ذلك في وصفهم للكوارث الطبيعية كالزلازل أو المشاعر الإنسانية إزاء الفقر والقضايا الاجتماعية الأخرى .

وفي السياق ذاته ، شهدت الحركة الرومانسية حضوراً ملحوظاً وقطفت شوطاً كبيراً في المملكة العربية السعودية ، وشارك الشعراء السعوديون إخوانهم من الشعراء العرب الرومانسيين في كافة اتجاهاتهم الفنية بدءاً بمضمون القصيدة وموضوعها وانتهاءً بالتحرر من الأنماط الشكلية ، وبالتالي وجدت الرومانسية تربة صالحة لنموها وترعرعها في أرض المملكة العربية السعودية أيضاً . وساعدت تضاريس الحياة السعودية على نمو الاتجاه الرومانسي نظراً لتدفق الصحف المصرية والهجرية والدواوين الجديدة ، وراح الأدباء يقرؤون ويعجبون ظهرأً ثالث ذلك تلقائياً في شعرهم . ومن أهم سمات الرومانسية بكل اختصار مايلي :

١. بروز الذاتية وتأمل الذات في شعرهم .
٢. الميل إلى الانطواء والحزن والشعور بالوحدة .
٣. الإغرار في التشاؤم واستعداب الآلام .
٤. السباحة في أودية الأحلام والأوهام ليث شكوكاًهم وآلامهم .

ومن هذا المنطلق ، اتخذ عدد من الشعراء هذا الاتجاه الجديد ، وبدأوا ينتشرون دررهم في شايا قصائدهم ، ومن أشهرهم الأمير عبدالله الفيصل ، وحسن القرشي ، وعبدالله الصالح العثيمين ، وإبراهيم الدامغ ، وسعد الباردي ، ومحمد حسن عواد ، وغازي القصبي وغيرهم . يُعتبر الشاعر غازي القصبي واحداً من الأسماء السعودية التي أثبتت حضورها عربياً من خلال مؤلفاته الشعرية العديدة . وفي هذا المقال نسعى إلى إلقاء الضوء على الاتجاه الرومانسي في قصائده ونرى مدى أثر

هذا الاتجاه فيه وتجاوب الشارع السعودي لهذا الاتجاه الجديد . وقبيل الخوض في غمار الموضوع ، من الأجرد إلقاء ضوء سريع على حياته .

فالدكتور غازي بن عبد الرحمن القصبي ، من مواليد ٢ مارس عام ١٩٤٠ م (١٣٥٩ هـ) ، في المفهوم بالأحساء بالملكة العربية السعودية ، وبدأت رحلته التعليمية الأولى في المنامة ، وارتاحل منها إلى أرض الكنانة ، لينهل من ثقافتها ، فكانت جامعة القاهرة مهده الدراسي في دراسة القانون . ولكن لم يهدأ باله ، فاتجه نحو الغرب ، لإشفاء غليله ، حيث التحق بجامعة كاليفورنيا لدراسة العلاقات الدولية عام ١٩٦٢ م . وعاد إلى الرياض ، بعد ثلاث سنوات ، والتحق بجامعة الملك سعود ، كمدرس لمبادئ القانون . ولكنه لم يكتف بذلك ، بل ظل يراوده رغبة عميقة لمواصلة مشواره التعليمي ، فالتحق بجامعة لندن ، وحصل منها على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية . ومن ثم عاد إلى بلاده ثانية ، والتحق بجامعة الملك سعود بالرياض أستاذًا جامعيًا عام ١٩٧١ م ، وفي خضمون ذلك مارس عمل المحاماة أيضًا ، والذي لم يستمر طويلاً .

وبعد عام ١٩٧٣ م ، تغيرت لغة الحياة عند القصبي إلى ذوق آخر ، حيث انتقل إلى ممارسة حياة الخدمة العامة ، وذلك بعد أن عين في المؤسسة العامة لسكك الحديد ، ومنها اختير ضمن التشكيل الوزاري عام ١٩٧٥ م ، وتقلد عدة وزارات . وعقبها عين سفيرًا في مملكة البحرين وبقي فيها حوالي ثمان سنوات ، وبعدها عين سفيرًا للمملكة العربية السعودية في بريطانيا ، وظل هناك طوال أحد عشر عاماً ، ليعود من السلك الدبلوماسي إلى الوزارة ، ويقلد زمام وزارة المياه والكهرباء ، ومنها انتقل إلى وزارة العمل ، حتى وافته المنية يوم الأحد الموافق ١٥ أغسطس ٢٠١٠ م (١٤٣١ هـ) ، عن عمر يناهز السبعين إثر صراع طويل مع المرض ، رحمة الله وأدخله فسيح جناته .

ولا مراء في أن أعمال الأديب السعودي غازي القصبي الشعرية تعد من أبرز الخطابات الشعرية في شبه الجزيرة العربية والعالم العربي . وتميز أعماله بالفنى والخطاب التجددى . وأسهمت قصائده في تطوير شكل القصيدة ومضمونها وخصوصاً في السعودية ، ونقلتها من ركناً التقليد والتلقائية إلى آفاق التجدد في الشكل والمضمون .

وكما نعلم بأن من أكبر الظواهر الرومانسية البارزة في الشعر العربي تجلّى في الحزن الذي يعترى عدداً من الشعراء الرومانسيين ، وهذا ما يمكن ملاحظته في أشعار القصبي أيضاً . ولا مرأء في أن الحرمان والوضع النفسي السيء والمرارة النفسية لا تجلب إلا التشاؤم ، فكأنه جزء رئيسي للقلق والإبرام ، وهو أمر طبعي بالنسبة للشباب ، حيث تظهر في هذه الفترة علامات عدم المواجهة بين الواقع وأحلامهم الفاقضة والأمال الواسعة والرغبات المختلفة ، وهذا ما انعكس على غازي القصبي أيضاً ، فيقول في قصيدة عنوانها : "قدري عينيك" :

قدري كعينيك أو كشعرك أسود      روح محلقة وجسم مجهد  
يومي بألوان المرارة متزعج      ويقاد يفرق بمرارته الفد

إلى أن قال :

خلفي أقوم مع الجموع وأقعد  
فأنا الشقي على السعادة أحسد  
وأنا المريض بالجراح أضمد  
وأنا البخيل يزوره المستردد  
وكان شخصية القصبي هي الأخرى تعاني من أنواع وألوان  
مختلفة من القلق والحيرة والاضطراب والضياع ، حيث يقول :

هل تستطعين إنقاذي من الملل  
أنا أمامك .. أفكار ممزقة  
وحيرة وحماس ضائع السبيل  
ما زلت أبحث عن درب لقاقيتي  
وبالطبع فإن هذه الآيات تعبّر بجلاءٍ ووضوح عن مدى القلق  
والحيرة والاضطراب والضياع الذي كان محاطاً به القصبي . و كنتيجة  
طبيعية فإن من يعترىه القلق والتخبّط والضياع ويلازمه التبرّم والتشكّي  
والتوجّع والحرمان ، ويحيطه التشاؤم من مختلف الجهات ، فإن اليأس  
والآوهام والألام النفسية ستلازمه وتتعقبه دون انقطاع ، حيث يقول :  
لجمأت من قسوة لأيام .. فابتسممي      وكفكي وحشة الضيف الذي لجأ  
تأمليني أنا الجرح الذي هربت      منه الأسه .. أنا الجرح الذي نكئا

١ جليلة رضا ، مقدمة ديوان شعاع الأمل لصالح العشرين .  
٢ المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٧٢ .

تأمليني أنا الإصرار منه زما .. واليأس مختدما .. والجمر منطفئا<sup>١</sup>  
 وهكذا ، فإن هذا التشاؤم والتبريم قد جعل هذا الشاعر يتحير  
 ويتساءل أسئلة فلسفية وكأنه يريد أن يشفى غليه ويرضي ضميره بعرض  
 أسئلة ، بغية الحصول على أجوبة عليها ترضيه حول حياة الإنسان وجوده  
 ودوره في هذه الدنيا المليئة بالألفاظ ، فهناك حيرة قاتلة لديه ، فهو يفضي  
 من خلال قصائده ببعض الأسئلة الأساسية ، ويسأل أسئلة يعرف جوابها  
 بالفطرة الإسلامية السليمة ، ولكن ذلك ليس إلا عبارة عن تعبير  
 للمشاعر العنفة التي كانت تصرخ في نفسه ، مشاعر الهبة أمام  
 المجتمع الجديد وأمام المستقبل ، مشاعر الخيبة من انهايار علاقة كانت  
 غالبة لصيقة بالقلب ، مشاعر الدهشة من غياب المجتمع القديم ، مشاعر  
 الإصرار على مواجهة التحدي والإنتصار عليه ، حيث يقول :

إنني أحفل حتى مقصدي أتمنى أنني لم أولد  
 أنا في قفر حياتي ضائع سار في الركب بخطو مجده وئد  
 لفني الليل ... فما أدرى وقد وئد النور ، بماذا أهتمي  
 أين أمضي ؟ يا سؤالاً لم يزل ظامئاً يقرع سمع الأبد  
 هذه الرحلة ما أغريها أترى نdry مداها في غدٌ

وعلى كل حال ، فإن هذه القصيدة ليست هي الوحيدة التي  
 تعكس النفسية القلقنة الحائرية المضطربة لشاعرنا هذا ، بل إنه تعددى  
 كل أنواع الاضطراب ، حيث يقول في قصيدة (معركة بلا رأية) من  
 ديوان (معركة بلا رأية) :

أحس بأن أيامي  
 كهذه الليلة الحمقاء  
 عاصفة بلا معنى  
 صراع دونما غاية  
 ومعركة بلا رأية  
 طواف حول دائرة من الأوهام  
 وتطول قدامي

١ المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٣٢٢ .

٢ المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٧٨٨ .

وأحلامي

كؤوس إن تعبت شربتها وسكت

فاستسلمت للدرب

ولا مراء في أن هذا القلق النفسي الذي يلحق بالإنسان قد تظهر

أعراضه حق الظهور حتى يصل إلى تمني الشاعر الموت ، لأنه يتمنى

الخلاص مما هو فيه من مشاكل نفسية وتشاؤم وتبرم وتساؤلات فيقول :

لماذا أعيش ؟

لماذا أودع يوماً وأرقب يوماً

ويدفن عامًّا ويولد عامًّا

وما في الحياة جديد

تمر عليَّ الليالي مكفنةً بوجوم عميق

تراقصن فيها ظلال الملل

سجونٌ مغلقةً بالأسى شمي حياة

فتحت جفوني وباليتها

بقيت وراء جدار الوجود

ضريراً ... كسيحاً ... عديم الشعور

ولكنني جئت هذه الحياة

ولدت .. كبرت .. وأصبحت شيئاً .. يقولون عنه فلان

تعبت من الجري خلف السراب

من البحث عن واحة في الخيال

وماذا أريد ؟ مصابي أنني أجهل ماذا أريد

سألت رفيقي ماذا يريد .. فقال وفي ناظريه بريق

أريد السعادة .. . . . .

فعدت أسائل نفسي ثرى أي شيء تكون السعادة !! !! !!

فجاء الجواب من الأصدقاء .. .

أتجللها ، يا لهذا الغباء .. .

ستقضى لياليك رهن الشقاء .. .

وعدت مع الدرب أصرخ في كل عابر .. . أجبني بريك ماذا تريد ؟

أغازي القصبي ، حياته ومخارات من شعره ، د. محمد الصفراني ، ص ٦٢

فمن قائل أنا أبغي الشراء .. .  
وقصرأ ينام بحضن السماء .. .  
ومن قائل أنا أبغي الرغيف  
ففي البيت طفلي يكاد يموت .. .  
وآخر يهتف بي في جنون .. أريد النساء .. .  
وعدت مع الدرب أحمل عباء الغباء .. .  
إلهي سألك خذني إليك  
فإن حياتي ضاقت على  
ولو طال يارب فيها بقائي  
سأصبح يارب كالآخرين  
سأصبح وحشاً يحب الدماء .. ويفمد خنجره في الظهور  
ليحظى بأمنية سافله .. .  
إلهي عرفتك فوق الظعنون وأعظم مما يحال البشر  
وأسمي وأسمى  
عرفتك ربي فخذني إليك<sup>١</sup>

ويعتبر الشعور بالوحدة والإحساس بالغرابة من أهم ظواهر النزعة الرومانسية ، وهو ناتج طبيعي لشورة الحياة التي تمر بها البلدان ، مما يجعل بالشاعر يحلق بأশواقه على أجنة الخيال بعيداً عن عالم الواقع ، وهذا ما خلق في نفس القصبي حب العزلة والأنطوانية الذاتي ، فيقول :

أيها الناس! اقفوا فالميت شاعر  
كفنوه بالأزهار وبالورد الندي  
وأقبسو آخر لمح  
شع في الوجه الرضي  
ادفونوه في رحاب المعبد المهجور  
إنه قد مل ضوضاء المدينة<sup>٢</sup>  
ومن مظاهر الرومانسية الحنين ، سواء كان الحنين إلى الديار أو  
الوطن أو الأم أو الحبيبية ، فيقول :

١ المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٢٠٦.

٢ نفس المرجع ، ص ٤٦٦.

أنا وحدي .. فشاطريني شجوني  
إنني تهت في ظلام السنين  
تراءى ظلاله في جفوني  
انظري لي .. أنّ الحنين بقلبي  
ومن الحنين إلى الطفولة والعودة إليها قوله في "معركة بلا راية":  
... أقول إني أخو حزن ، أخو ألم  
يود لو عاد طفلاً ضج وأنتحباً  
لو أسلم الرأس صدراً لا يضيق به  
وراح يشكو إليه السقم والتعباً  
ولا ريب في أن القصبي هو من الشعراء السعوديين القلائل ، الذي  
استطاع أن يصور حنينه وغريته وقلقه النفسي أصدق تصوير ، بل هو من  
أقدر الشعراء الشباب على تصوير تلك النزعة الرومانسية من حنين وغريبة  
وقلق في أسلوب يجمع بين رصانة القديم وأصالته وإيقاعه الشجي وشفافية  
العبارة وحداثة بنائها وقدرتها على الإيحاء".

كما اتخذ القصبي من البحر وسيلة للتعبير عن آماله وتعلقاته  
وآلامه وأحزانه ، حيث يقول :

قال لي البحر يوم كنت صبياً      كان للكون نكهة العذراء<sup>١</sup>  
ويقول في قصيدة أخرى حيث يريد أن يبين مقاسمة الشاعر  
للمحبوب صنوف الشدة ، وكأنه يقول : "لا عليٍ ولا لي" ، حيث يقول :  
كلانا يا فتاة الدرب  
أعمى هام بالفجر  
فسار لحيث لا يدرى  
الهوى من نبעה المُر<sup>٢</sup>  
وكلانا ضمه الليل  
كلانا ذاق ماشاء  
وفي قصيدة أخرى يقول :  
سكن الليل .. سوى أن النسيم  
لم يزل يهمس في أذن الكروم  
كالحبيب  
ومضى الحب ينادي كل قلب

١ المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ١١٨.

٢ د. عبد القادر القط ، ص ٤٨٠ - ٤٨١.

٣ د. عبد القادر القط ، ص ٤٦٧.

٤ حديث مع البحر ، عقد من الحجارة ، المصدر السابق ، ص ٤٣.

٥ كلانا ، المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٦٣.

ويoshi بالأمني كل درب  
والطيوب<sup>١</sup>

ونرى أن القصيبي يخاطب المرأة ويشعر بالألم والحزن لأن نصيه أقرب إلى التأبين على أيام الشباب المنصرم في العذاب الروحي مع من يتجادلون معها شؤون العودة ومضادها، وفي الإحساس الحاد باليه والضياع. حيث يقول في قصيدة "عودي":

عُودي لِدُنْيَا حُسْنِي تَسْتَبِّحُ شَبَابِي  
وَدَعَيِ شُجُونِي تَسْتَبِّحُ الْخَلَابِ  
مَكْثُوبَةً بِمَدَامِي وَعَذَابِي  
لَا تَسْأَلِي عَنِّي .. فَعُمْرِي قِصَّةٌ  
قَضَيْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِيَّةَ هَائِمًا  
مُغَثَّرًا فِي الْبَيْدَ حَلْفَ سَرَابِي  
أَحْيَا عَلَى الْوَهْمِ الْجَمِيلِ .. وَتَشَتِّي  
رُوحِي بِلِمْعَةٍ بِرْقَةِ الْكَدَابِ<sup>٢</sup>  
وَكَانَهُ يُشَبِّهُ مَا قَالَهُ الْأَمْيَرُ عَبْدُ اللَّهِ الْفَيْصِلُ :

هَذَا شَبَابِكِي ضَائِعٌ كَشَبَابِي أَرْثِي لَمَ يَكُنْ أَنْوَحُ لَمَّا يَبِي<sup>٣</sup>

ويقول القصيبي في قصيدة أخرى عنوانها: "صدى من الأطلال":  
كَانَ يَوْمُ الْعِيدِ لِقِيَانًا .. وَهَا عَادَ يَوْمُ الْعِيدِ .. يَا عِيدِي الْخَجَولِ  
كَيْفَ مَرَّ الْعَامُ .. يَا نَشُوتَهُ<sup>٤</sup> كَيْفَ طَارَ الْعَامُ .. كَالْطَّيْرِ الْعَجُولِ؟  
كُلُّ مَا أَخْشَاهُ أَنِي رَاحِلٌ عَنْ أَمَانٍ بَيْنِ عَيْنِي كَتْجُولٌ  
فَإِذَا غَبَّتُ .. فَقُولِي .. إِنَّهُ قَالَ فِي عَيْنِي كَأَحْلَى مَا يَقُولُ

وهكذا ، نرى أن صاحبنا استطاع أن يؤثر الحسن والعاطفة على العقل والمنطق ، وقام بالدعوة إلى تحرير العاطفة والشعور من سيطرة العقل وتسليم القيادة للقلب لأنه الخير بكله الأشياء وحقائقها. فضلاً عن أنه ركز على الجانب الوجداني من التجربة الشعرية وعالج فيها موضوعات رئيسية تتصف بمواصفات المذهب الرومانسي ، ومن هذه الموضوعات ، الطبيعة والمرأة والحب والإحساس الحاد بالألم والتشاؤم .

ومن هذا المنطلق ، تجلت مظاهر الرومانسيّة في معظم نتاجات القصيبي الشعرية حيث كان ثائراً على المضامين الشعرية القديمة الجافة ،

١ البراعم ، ص ٢٣.

٢ البراعم ، ص ١٤٦.

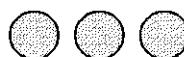
٣ وحي الحرمان وحديث قلب ، المجموعة الكاملة ، عبد الله الفيصل ، ص ٢٢٩.

٤ قراءة في وجه لندين ، ص ٨٨.

وهذا ما نراه واضحاً وجلياً من خلال أفكاره ومبادئه التي اعتمد فيها على الذاتية أو الفردية التي تتضمن عواطف الحزن والكآبة والأمل وأحياناً الثورة على المجتمع ، والتحرر من قيود العقل والواقعية والتحليل في رحاب الخيال والصور والأحلام ، هذا فضلاً عن اهتمامه بالطبيعة التي كانت عنده رمزاً للطهر ومثلاً عالياً للاحتداء والاقتداء ومعبداً للروح ومستودعاً للأسرار والهموم وأداة للتخلص مما في دنيا الناس من همجية وظلم . وبالفعل كان القصبي علمًا من أعلام الشعر السعودي ، استطاع أن يصور المذهب الرومانسي أحسن تصوير وأن يسهم في نشره إلى حد بعيد .

ومع كل هذا نرى أن عدداً من الاتجاهات الأدبية كانت متداخلة في أشعار القصبي ، الأمر الذي يدل على إيمانه بعدم حصر الشعر في قوالب جاهزة ، وإنه من الإساءة إلى الشعر الإصرار على إدخاله في أحد الأفلاص الثلاثة "الكلاسيكية" و"الرومانسية" و"الواقعية" ... لأن كل شاعر حقيقي يجب أن يكون كلاسيكيًا ورومانسيًا وواقعيًا في الوقت ذاته ، حيث يفسر القصبي كيفية تداخل المذاهب الثلاثة ، قائلاً : فالشاعر يجب أن يكون كلاسيكيًا فيتحدث بلسان قومه وبالأسلوب الذي يفهمونه وبالموسيقى التي تعودت عليها آذانهم وبالكلمات التي يحتويها تراثهم ، ويجب أن يكون رومانسيًا فيعيش تجاربه معايشة شخصية ذاتية مباشرة بحيث تمتزج التجارب بالذات وتصبح كلاً واحداً لا ينفصل . ويجب أن يكون واقعياً فيعيش مع البشر ويستتشق هموم البشر ويلامس مشاكل البشر<sup>١</sup> .

ولعل موضوعاً كهذا يحتاج دراسة أكبر ، ولكن نكتفي بهذا القدر ، ونأمل لأن تكون قد حدنا عن الصواب فيما ذكرناه ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



<sup>١</sup> سيرة شعرية ، غاري القصبي ، ص ٢٤٧.

## بنت الشاطئ ونظريتها في النقد

الأستاذ محمد نور الزمان الندوبي \*

هناك فرق بين النقد الأدبي وبين نظرية النقد الأدبي " فالنقد الأدبي هو فن النظر في النصوص الأدبية المفردة وإصدار الحكم عليها ، وأما نظرية النقد الأدبي فإنها لا تحفل بالأعمال الأدبية المفردة إلا من حيث إنها توضح اتجاهها من الاتجاهات النقدية ، وإنما تحفل بالاتجاهات والمبادئ التي تحكم مواقف النقاد من الأعمال الأدبية المفردة " <sup>١</sup> .

ومن هذه الناحية إذا تأملنا نظرية بنت الشاطئ في النقد وجدناها تدور حول أساسين :

( أ ) أن الإنسان يتميز عن الحيوانات بأنه خلق مدنياً ، فمقياس إنسانيته إذا يرتهن بارتباطه بالجماعة ، ونظرا لأن الأديب هو إنسان قبل كل شيء ، فبقدر ارتباطه بالجماعة يقدر أدبه ، والمراد بالجماعة عندها الأمة العربية التي نشأت تحت لواء الإسلام ، فمن الطبيعي عندها أن الأدب العربي يقدر بقدر ما أن يمثل الأمة العربية الإسلامية .

( ب ) أن كل الناس يعيشون في دنيا نواميسها المحسوسة التي تتشابه ، وتتقارب تقارباً كثيراً ، ولكن هناك في داخل كل إنسان دنياً تختلف عن دنيا أخيه الإنسان اختلافاً بينا ، بل تغير هذه الدنيا في الإنسان الواحد من وقت لآخر ، ومن مكان لآخر ، ومن حادث لآخر ، فبقدر ما يعكس الأدب هذا التغير والاختلاف في الأديب ، عندها ، تقدر أصلة الأديب .

وللوضوح ذلك إليك أمثلة تالية :

١ درست بنت الشاطئ الشعر الجاهلي ، فسمت الشعراء الجاهليين إلى ثلاثة طبقات : ( ١ ) شاعر القبيلة ( ٢ ) الشعراء الصغار ( ٣ ) شاعر البساط ، بقولها :

\* قسم اللغة العربية بجامعة كشمير.

<sup>١</sup> نظرية النقد الأدبي الحديث : الدكتور يوسف نور عوض ، دار الأمين القاهرة ١٩٩٤ : الطبعة الأولى .

"اتجهت محاولتي في بيئات الشعر الجاهلي إلى التمييز بين : شاعر القبيلة وشاعر البلاط والشعراء الصناعيك ، فبدت لي فروق جوهرية في وظيفة الشعر ، ومكان الشاعر ، وفروق فنية ذات خطر في ذاتية الشاعر الفردية والجماعية ، وفي مكانته ورسالته ، وفي فنون للشعر ترور في بيئه دون أخرى ، مؤكدة ما بين الفن والحياة من حتمي الصلات".<sup>١</sup>

فشاعر القبيلة لدى بنت الشاطئ أفضل ، وأعلى من غيره ، لأنه بشعره يمثل ذاتية الجماعة التي يعيش فيها من غير أن يلغى ذاتيته التي لا يكون الفن هنا بغيرها ، ولم يكن شاعر القبيلة قط البوح الآلي لقبيلته كما زعم بعض النقاد ، بل هو فرد في جماعة ، تؤهله موهبته لكي يشغل وظيفة ذات خطر ، مثله في ذلك مثل فارس القبيلة وشيخها ، يشغل كل واحد منهما وظيفته العامة ، بحكم مalle من مؤهلات ذاتية ، بدون أن يقال في أي منهما : إن فريديته قد أهدرت ، ولكن يقال ذلك كله في الشاعر الذي أدمج وجداينيه في وجданية القبيلة ، حتى استحق بذلك أن يكون مندوبيها وممثلها وترجمانها في حياتها الوجданية ، وأطلقت بنت الشاطئ على هذه الفردية المخفية تحت ستار الجماعة ، مصطلح "الذاتية الجماعية" ومن هنا يمكن الفهم : لماذا - على حد تعبير بنت الشاطئ نفسها - "كان اعتزاز القبيلة بشاعرها أكبر من اعتزازها بالفارس الذي يحمي بسيفه ، وهو وضع قضت به ظروف الحياة في ذلك العهد الجاهلي ، ودفعت إليه حاجة القبيلة إلى قيادة وجданية ، ثبت في أبنائها روح المرءة والنجد وإباء الضيم ، وتحدوهم في صراعها من أجل الوجود والبقاء ، وكان الشاعر هو الذي يندب للدفاع عن حق الجماعة في مواقف الخصومة والنزاع ، ويتولى عرض قضيتها في مجالس الحكم والقضاء".<sup>٢</sup>

وحتى إننا نجد بنت الشاطئ تمنى للأدباء المعاصررين أن لو كان لهم في مجتمعهم ما كان في المجتمع الجاهلي للشاعر من مكانة ورسالة ، فعاقت ذلك عندما وجدت شاعربني أسد "عبيد بن الأبرص" يلهم الحماس ويحمي وجداائهم من التأثر بوعيد إمرئ القيس وتهديده بأشعاره ، فقال فيما قال :

نحْمَىْ حَقِيقَتَنَا وَبِعَضِ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

<sup>١</sup> قيم جديدة ، ص : ٢٤ .

<sup>٢</sup> قيم جديدة ، ص : ٢٧ ، ٢٨ و .

علقت على بنت الشاطئ هذا البيت الذي هزها تقول وهي تتمى : "نعمي حقيقتنا يا لها من كلمة شاعر يعرف مكانه ورسالته : سيداً قائداً ، وبالله من شعار ، يمنحنا إياه تراثاً العريق الأصيل لنجمي حقيقتنا ونحقق وجودنا " <sup>١</sup> .

وأخيراً قررت بنت الشاطئ مراعاة الجماعة وتمثيلها في الأدب أصلاً تقتضيه طبيعة الفن في الحياة حين كتبت تقول :

"وهذا هو الأصل الذي تقتضيه طبيعة الفن في الحياة ، إذ تدب لتمثيل الجماعة وجاذبها أرهف أفرادها حساً ، وأقدرهم على التعبير " <sup>٢</sup> .  
وأبقى الإسلام - وفق بنت الشاطئ - ما كان للشعراء من شرف القيادة الوجданية ، والتكلم بلسان الجماعة ، بل وسعه " وكان التطور الذي حدث ، هو أن الإسلام أراد لشاعر القبيلة أن يصير شاعر الأمة ، فلم يهدى به ذاتية الشاعر ، بل أراد لها أن ترحب ، فلا تعود محدودة بنطاق الأسرة ، والقبيلة " .

وبالإضافة إلى ذلك لا ترى بنت الشاطئ الشعراء الصعاليك يمثلون مشاعرهم الذاتية وعواطفهم الفردية في شعرهم فحسب ، بل وجدتهم يمثلون القبيلة أيضاً ومآلها من أهمية في حياة الفرد وما في انعزاله عنها من أثر سلبي :

"إن شعرهم يمثل الفطرة العربية ، ويعبر عن معاناة وجاذبية لمحنة الغربة والتشرد ، ويعكس صورة مثيرة من واقع حياتهم المحروم من أنس الجماعة ..... بل إن سلوكهم نفسه يطوي وراء الاستهانة بالحياة والانطلاق في الفضاء العريض ، والمغامرة الفتاكية المثيرة سخرية مريرة بالحرية الفردية ، وتراثهم من الشعر شاهد لدينا على هذا " <sup>٢</sup> .

وعلى عكس شاعر القبيلة نجد بنت الشاطئ كارهة ساخطة على شاعر البلاط ، خصوصاً على نابغة الذبياني ، وأعشى اللذين وضعهما التقى في الطبقة الأولى من فحول الشعراء ، لأن شعرهما يمثل البلاط ، بدلًا من قبيلتهما ، وذلك أن البلاط يفرض على شاعره أن يمجد أفعال سيده ، ويغني بسجاياه ، وبقدس كل تصرفاته مرتفعاً به إلى السماء ، مهدرًا ذاتيته ، فلا يمنحه الشاعر بإعجاب نابع من القلب إلا عند ما ينال

<sup>١</sup> قيم جديدة ، ص : ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٧ .

<sup>٢</sup> قيم جديدة ، ص : ٤١ ، ٤٢ .

من عطائه ، فبقدر ما يسخو في العطاء يسخو الشاعر في المدح تأثراً بمنحته الفردية ، لا بمكرمة عامة ، كذلك التي تهز شاعر القبيلة وتستثير أريحيته الفنية " وهذا النوع المحدود من الشعر تصدق عليه هذه القولة المشهورة في الشعر "الشعر تجارة العرب" وهذا هو الذي أحدث الفرق بين مكانتهما التي أشارت إليه بنت الشاطئ بقولها :

" وبيننا نجد للشاعر في القبيلة أعز مكانة ، ونراها تحفل بظوره وتعده ثروة قومية لها ، نجد الشاعر في البلاط لا يعدو أن يكون تابعاً أجيراً ، وربما يعاني من الخضوع والهوان ما يهدى إنسانيته إلى حد الإقرار بالعبودية " كما حدث للذبياني حين غضب عليه سيد النعمان ، ولكن صاحبكتا بنت الشاطئ تتحسر تحسراً شديداً على أن هذا النوع من الشعراء الذين لم يكن لهم إلى العصر الأموي سوى الذل والمهانة أو السجن والحبس من مكانة في مجتمعهم ، سيطروا على الأوساط العلمية ، حتى استخلص العلماء من شعرهم للأدب مقاييسه النقدية العامة ، لتحرر النقاد من احتکامها وعكفوا على تراث شعراء القبائل والصغار ، يلتمسون منه ما يجلو الذاتية الجماعية لأراحونا من "الخصوصية النقدية التي ملنا سمعاها بين ما يسمونه "فن لفن" أو "فن للمجتمع" كأنما كانت فنية الفن تمنع جماعيته ، وجماعيته تهدى ذاتيتها ، ولا تسع الأفق أمامنا رحباً طليقاً لجديد الدراسات ، غير تلك التي ملها الزمن لطول ما سمع عن الأعشى " صناعة العرب" والنابغة أمير الشعراء إذا رهب " .<sup>١</sup>

ووجدت بنت الشاطئ عند الخنساء هذه الذاتية الجماعية المطلوبة التي قررتها مقاييساً نقدياً صحيحاً عاماً ، يجب أن تدرس في ضوء جميع الآثار الأدبية والنقدية ، القديمة والحديثة ، قالت :

"الخنساء شاعرة قبيلة ، وطول حديثها عن مصاب القبيلة في "صخر" شاهد على أنها كانت في كثير من مراحلها تصدر عن ذاتية جماعية ، لا عن ذاتية فردية ، وهو ملحوظ تقدر في التراث الفني لشعراء القبائل ، الناطقين بلسان الجماعة ، الممثلين لوجданها العام" .<sup>٢</sup>

٢ - ونسمع صدى هذه النظرية في دراسة بنت الشاطئ للشعر

<sup>١</sup> قيم جديدة ، ص: ٥١ ، و ٦٠ .

<sup>٢</sup> الخنساء بنت الشاطئ ، دار المعرف ، ١٩٩٩ ، الطبعة السادسة ، ص: ٧٩ .

النسوي المعاصر بوضوح أكثر وبقوة أشد ، فنجد هنا تتقى التيمورية في شعرها السياسي بشدة ، مع أن بنت الشاطئ بالذات قد قررتها رائدة الشعر النسووي الحديث من حيث إنها مهدت سبيلاً للتعبير عن العواطف الأنثوية لأخواتها الشاعرات بعدها ، لأنها أول من تحررت في شعرها من الوأد العاطفي ، فعبرت عن مشاعر الأنثى تعبرها مباشراً ، وأما شعرها السياسي فنجد بنت الشاطئ تتقى فيه على التيمورية انتقاداً عنيفاً حتى انتزعت منها رياضتها فأعطيتها "أم نزار الملائكة" أم "نازك الملائكة" :

"إن هبوط الشعر السياسي للتيمورية في الميزان النقدي الفني يرد إلى خروجها على المأثور من طبيعة المرأة ، فلقدما عرفناها في تراثنا الأدبي شاعرة ملك ، وقلما شهدناها ماضينا واقفة بمعزفها على باب البلاط تمدحه وتترافق إليه ، ولن نرى شاعرة العصر تقف هذا الموقف المهيئ ، بل الذي سنراه أنها ترتفع إلى الأفق القومي ، معبرة عن مشاعر الجماعة ، مناضلة عن حقوق الجماهير ، ولو غضب الغاضبون ..... ولا التمس العذر لشاعرة الطليعة (التيمورية) أو أغفر لها انحرافها في شعرها السياسي ، أو أرى في ظروفها الخاصة ما يبرر هذا الانحراف ، فقد شهدت فجر البعث القومي ، وكانت مرجوة لأن تناضل مع المناضلين الذين استبسوا ضد الطغيان من كتاب عصرنا : أدباء ومفكرين" <sup>١</sup> ، وقد أضفنا إلى الاتجاه الذاتي الذي ارتادته التيمورية بالتحرر من الوأد العاطفي ، الاتجاه القومي الذي ارتادته "أم نزار الملائكة" بثورتها على الأغلال الاجتماعية المفروضة على بنات جيلها ، ومشاركتها في القضايا العامة لقومها العرب" <sup>٢</sup> .

وعلى هذا الأساس الفوقي احتل شعر "نازك الملائكة" عند بنت الشاطئ قمة في الشعر النسووي ، لأن ذاتيتها الفردية مندمجة في أعماق الذاتية الجماعية ، بل في الذاتية الإنسانية إلى حد لا يمكن الفصل بينها ، كما هو شأن عند غيرها من النساء الشاعرات :

"أما الشاعرة العربية المعاصرة ، فتخوض المعارك الاجتماعية بكل طاقتها الشعرية ، وإذا كان من شاعراتنا من قصدين إلى الموعظة والاعتبار مباشرة ، فإن فيهن قلة لم تلبس زي الوعاظ والمرشدين ، وإنما

<sup>١</sup> الشاعرة العربية المعاصرة ، ص: ٢٨ ، ٤٨ ، ٧٧.

<sup>٢</sup> الشاعرة العربية المعاصرة ، ص: ٤٩.

كان الذي عناها أن تترجم عن وقع هذه المأساة البشرية على حسها المرهف ، ومنهن أيضاً من قصر تناولهن على المعانى القريبة التي يتناولها كتاب المقالات الاجتماعية ، يعالجون فيها أمراض المجتمع معالجة موضوعية ، على الوصف التقريري والتصوير الآلي ، على حين نرى أدبيات وشاعرات تتميز معالجتهن لهذه القضية بعاطفة الانفعال ووجودانية التناول ، وـ "نازك" تتفوق في هذا المجال وتمارسه بأصالة واقتدار ... وما أشك في أنكم قد لاحظتم معنى اللمسة الإنسانية التي تناولت بها الشاعرة تلك القضية ، وأدركتم مدى اندماج ذاتيتها في ذات الجماعة<sup>١</sup> .

٣ - ومن المعلوم أن المغربي هو أكبر وأحب شاعر لدى بنت الشاطئ مع أنه من شعراء العصر الذي قد ارتبط الأدب بالحياة السياسية إلى حد أن انزال شاعر من الشعراء ، أو أديب من الأدباء بدون اللجوء إلى أمير من الأمراء يعتبر في حقه نوعاً من الانتحار ، فسبب عظمته ومحبوبيته عندها يكمن في أنه لم يلعب قط دور شاعر بلاط أو مثله على رغم إصرار الوزارة والحاخام ، بل أصفي إلى صوت ضميره ، فانعزل عن المجتمع وانزوى إلى بيته احتجاجاً على أوضاعه الفاسدة : "وقرار بالعزلة والانفراد حمله عليه عجزه عن احتمال نكر العصر وفساد المجتمع ، وإنه ليقول مع ذلك في اجتماعية الإنسان كلمات جرت مجرى الأمثال ، كقوله :

لما أحبيببت بالخلد انفراداً  
ولو أني حبيت بالخلد فرداً  
سحائب ليس تتنظم البلاداً  
فلا هطلت علي ولا بأرضي

٤) - هذا في نقد الشعر ، وأما في مجال نقد النقد ، فنجد فيه صدى هذه النظرية كذلك مدوياً مجلجاً ، حين ردت بنت الشاطئ على طه حسين وغيره ممن اتخذوا الحرية ، أو الفوضى مذهبهم في الأدب بقولها :

" فمن الجانب الفني لا تعني الحرية التخلل من القوانين والضوابط الفنية الجمالية فمثل هذا التخلل إلى جانب عدوانه على الحرية يعطّل مهمّة الأدب الكبّرى في التأثير على وجدان الأمة ومن الجانب الموضوعي لا يجوز

<sup>١</sup> الشاعرة العربية المعاصرة ، ص: ٧٧ ، ٩٠ .

<sup>٢</sup> مع أبي العلاء في رحلة حياته ، بنت الشاطئ ، دار المعارف ١٩٩٨ ، ص: ٢٠٠ ، ١٩٩ .

أن ننسى أن حرية الأديب هي حرية فرد في مجتمع وليس حرية في الخلاء .  
وكما أن ممارسة الأديب لحرية كاملة لا تتفق بحال ما التزامه  
بقوانين الفن ، فإنها لا تتفق كذلك مسؤوليته عن سلامة المجتمع الذي  
ألقى إليه زمام القيادة الوحشانية ..... لأن ارتباطه بالجماعة هو مقاييس  
إنسانيته ، إذ هو ليس إنسانا إلا بقدر ما هو مدني " ١ .

وانتقدت بنت الشاطئ على لويس عوض عند ما قرر عودة العقاد  
وهيكل وطه حسين إلى التاريخ الإسلامي بعد عام ١٩٣٦ انفصلاً عن واقع  
الحياة ، ففسرت بهم مافسراه هو فيما يلي من قوله :

"والذي أعلمه علم اليقين أن عودة هؤلاء الكتاب إلى التاريخ  
الإسلامي كانت اتصالاً بواقع حياتنا ، لا انفصلاً عنه ، وهم لم ينفذوا  
إلى وجдан الجماهير بما كتبوا قبل عام ١٩٣٦ من مطالعات ومراجعات  
ووحي الأربعين ، ومن جاهليات ويونانيات وفرنسيات ، وإنما أخذوا  
مكانتهم الأدبية لدى الجماهير بما قرأت لهم بعد ذلك في مرحلة الفراغ  
والعمق من عقريات العقاد الإسلامية و " على هامش السيرة ، والفتقة  
الكبرى " لطه حسين و " حياة محمد وأبي بكر الصديق والفاروق عمر ،  
وفي منزل الوحي " لهيكل " ٢ .

وردت على من فسروا ظاهرة تجدد الأدب العربي على مستوى  
محدود جداً ، حتى في عهد ازدهاره بجهالة الغرب عن آداب اليونان ،  
فسترت هذه الظاهرة بغير مفسروها : بأن الثقافة والعلم من الممكن أن  
تستغير منهما الأمة - كما تستثير من ضرورات الحياة المادية - ما تحتاج  
إليه ، " لكنها لا تستطيع أبداً أن تحيا بمزاج غريب مجنوب ووجدان  
أجنبى دخيل " وهذا هو نفس السبب عند بنت الشاطئ فيما شكت بعض  
النقاد المعاصرين من ضعف هضمنا في الآداب الغربية مقابل العلوم :

" وأحسب أن وراء هذا التفسير القريب ملحظاً أبعد وأعمق ، وهو أن  
الأمة الإسلاميةأخذت ما أخذت من التراث العلمي للأمم القديمة ، لأنها  
أرادت أن توسع من آفاق معرفتها وتخصب عقليتها لكنها تجافت عن  
الآداب كراهة أن تستثير وجداناً أجنبياً ، ومن ثم مضت حركة الترجمة  
والنقل والتعریب تغذی وجود الأمة بروافد سخية دون أن تمسخ أصالتها ،

١ قيم جديدة ، ص : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

٢ قيم جديدة ، ص : ٢٥٧ .

فتنهيًّا لها بذلك أن تحمل القيادة الحضارية في العصر الوسيط<sup>١</sup>.

وهذا الموقف الذي اختاره القدماء نحو آداب الأمم الأخرى في الماضي هو الذي تطلبه بنت الشاطئ إلى النقاد المعاصرين أن يختاروه نحو الآداب الغربية للاحفاظ على أصالة الأدب العربي كما هو ظاهر من الاقتباس الذي نقلته من "نازك الملائكة" في نهاية كتابها (الشاعرة العربية المعاصرة) قالت فيه نازك بعد الانتقاد الشديد على نقاد يزعمون أن الشعر الحر بضاعة غربية مستبرأة، وأنه انفصل عن ماضينا: "وقد سئمنا سماع الكلمات والنظريات الغربية يضج بها ميدان النقد الفني عندنا، وأصبحنا نتعطش إلى نقد حر، التجديد فيه نابع من أصالتنا، والمصطلحات مرتكزة على ظواهر في الشعر العربي لا في الشعر الغربي، وسيرتوي هذا الظماماً حتى، حين يتحرر نقاد لنا من عقدة النقص، وتكتشف الأمة العربية المنابع الحقة في كيانها"<sup>٢</sup>.

بناء على هذا ترى بنت الشاطئ وظيفة الأديب أو الناقد هي القيادة الوجданية والسيادة الفكرية للأمة، فيجب عليه أن يقودها إلى ما يستشرف لها من وجود حر، لأنه قد يشق عليها رفض الأوضاع غير الكريمة رضيت بها، لكن الأديب ينهض، فيكشف عنها غطاء الزيف وغشاوة الوهم ملهاها وجداها بحمله من كلماته المفاضبة، لترفض ما لا ينبغي لها أن تقبله، وكانت هذه الحقيقة مفهومة كل الفهم، وواضحة كل الوضوح لدى الأغلبية من الشعراء في العصر الجاهلي والإسلامي، ومن هنا يجب لأديب كل زمان ومكان أن تتخذ التحدى الذي سيواجهه الأمة في المستقبل، ذريعة تجعل أدبه حيوياً، وكان هذا التحدى حتى النصف الأول من القرن العشرين أو قبل بالضبط: حتى ثورة ١٩٥٢ جيلاً واضحأً أمام الأدباء في صورة الاحتلال الأنكليزي، الذي جعل أدبهم متسمًا بالحيوية والنشاط، ولكن بعد الثورة في نشوء الفرح غاب عن بصيرتهم التقطن إلى التحدى الجديد الذي يمنح أدبهم هذه الصفة، فظلوا - حسب بنت الشاطئ - يجتربون بمكاسب الثورة، وعادوا بذلك رجال إعلام، ونسوا أو تناسو التحدى الأكبر الذي كان قد ظهر في صورة "إسرائيل" إلا قلة قليلة من الأدباء، فإذا كان التحدى من طبيعة

<sup>١</sup> قيم جديدة، ص: ١٨٩.

<sup>٢</sup> الشاعرة العربية المعاصرة، ص: ١٣٠.

الأدب الحيوي عادت الكثرة الكاثرة من الأدباء والنقاد إلى الماضي المجيد يلومونه ويعيّبونه في كل مظهر من مظاهر تخلفنا ورجعيتنا ، فأصبحت الحالة كما قالت بنت الشاطئ :

" وتمزقنا طوائف وأحزاباً وشيعاً ، وذهبنا طرائق قدداً ، وتحررت شعوبنا وأمتنا من الاستعمار التقليدي ، لتواجه استعماراً أثبت وأضرى ، ومضى عهد الاستعمار الأوروبي ، لتواجه القرصنة الإسرائيلية ونحن فيما بيننا غرياء " .<sup>١</sup>

ولتجليه ملامح هذه الذاتية الجماعية المطلوبة المنشودة التي يجب أن يمثلها الأدب عند بنت الشاطئ نقية من العناصر الداخلية التي كانت قد تسربت إليها تحت أسباب تاريخية مختلفة ، درست بنت الشاطئ القرآن من نواح متعددة ، كما درست سير سيدات بنت النبوة لمعرفة دور المرأة الصحيح في هذه الذاتية الجماعية :

" لا أترجع بعد طول عكوف في على الدراسات القرآنية من القول بأن الإسلام في أصول العقيدة وفرض العبادة وأحكام المعاملات وكل توجيهات لسلوك الإنسان ، إنما ينظر إليها من حيث هو اجتماعي بطبيعة ، وليس فردية متوجهة شاذة " .<sup>٢</sup>

وموجز القول أن نظرية بنت الشاطئ التي أطلت الوقفة عندها ، عبرت عنها بنت الشاطئ في عبارة وجيبة هكذا : " من أهداف الأمانة أن يكون الفن نشاطاً وجداًانياً يسعد الفرد والجماعة " .<sup>٣</sup>

وهذه النظرية لبنت الشاطئ قررها جلال العشري اتجاهها ، لأنه يرى : ليس هناك نظرية في النقد العربي ، وسمى هذا الاتجاه " اتجاه النقد الشارح " الذي نجد أصوله في محاولات النقد العربي القديم ، والذي طوره وأحياه في ثقافتنا الحاضرة أمين الخلوي ، ومن ورائه الدكتوره بنت الشاطئ " .<sup>٤</sup>

وهذا القول من العشري يبنينا أنه لم يقرأ بنت الشاطئ بإستيعاب ، وأنه لم يختر هذا الرأي في بنت الشاطئ إلا بقراءة ما كتبته هي وأمين

<sup>١</sup> الشخصية الإسلامية ، ص : ١٦ .

<sup>٢</sup> الشخصية الإسلامية ، ص : ١٨٤ .

<sup>٣</sup> رجعة قرعون ، ص : ٣ .

<sup>٤</sup> ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة ، جلال العشري ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر : ١٩٧١ ، ص : ٢٣ .

الخولي في البلاغة والتفسير والسيرة ، ومع هذا نجد بنت الشاطئ قد استعانت في ذلك بما هو خارج النص ، ولم تحصر نفسها في النص وحده كما يقول جلال العشري ، ترى بنت الشاطئ - مثلاً - في أعمال الأديبات المتمردات الجامحات صورة خاضعة أشد الخضوع للميراث النسوي القديم المملوء بإحساس الكبت والحرمان ، وبالألم والحزن ، بخلاف كثير من النقاد الذين يرون فيها صورة صادقة للمرأة العربية الجديدة المتحركة ، واستدللت بنت الشاطئ على دعواها بعلم النفس الإنساني ، الذي إذا فسر إنتاج أدبي في ضوئه أصبح النقد "نقداً نفسياً" وأعتبر جلال العشري رائده بغير حق "محمد خلف الله أحمد" ، لأن فضل رياضته إنما يرجع إلى أمين الخولي ، كما أشار إليه سيد قطب<sup>١</sup> وغيره من النقاد ، لنترك الكلام هنا في ذلك لبنت الشاطئ نفسها ، فهي تقول :

"ويخطئ من يظن أن الأديبات اللواتي قد تمردن على ميراثهن الفطري ، ومزقن حجابهن العاطفي والمعنوي ، قد تحررن من تحكم ذلك الميراث ، ونجون بالانفجار من الصراع المحكوم به أفواج الطليعة المتحركة .... كلا ..... بل إن لي أن أزعم أنهن أشد خضوعاً لميراثنا من أولئك اللواتي قدرن حتمية هذا الميراث ، وصهرهن الألم ، وفاضت آثارهن بالشجو والحبرة والقلق والتمزق .... أقول : إن مثل هذا الصنف من الأدب النسوي المعاصر (الذي سبق ذكر بعض آثار منه) يجلو لنا عمق الرواسب الراسخة ، على غير ما يظن كثير من نقاد العصر ، وفيه نلتمس ملامح الصورة القديمة لنساء الحرير ، أكثر مما نلتمس ملامح الصورة الجديدة للعربة المتحركة .... وتعلماء النفس الإنسانية ، كلّتمن هنا في أن الإلحاد في الصباح بالإفلات من شيء ، شاهد على قوة المطاردة النفسية والمادية ، كما أن الإيمان في تقرير من قيد ما ، يتاسب طردياً مع قوة هذا القيد وإحكامه ، وليس بعيد عن مأثور حياتنا اليومية وواقعنا المشهود ، أن يجأر جائع : أنا شبعان ، أنا شبعان ، ليخدر بهذا الجوع إحساسه بالجوع ، أو أن يصرخ ضعيف : أنا قوي ، أنا قوي ، ليغطي ضعفه ، أو ليس من هذا الصراخ المتكرر ، الإنقطاع النفسي بقوته ، وكل آثار الأديبات العربيات ، شاعرات ، أو ناثرات ، ومن غابت عليهن ظاهرة الجمود والمباهلة بالتحرر من غل أو كبت موروث يصدق عليها هذا الذي هدت

<sup>١</sup> النقد الأدبي : أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الفكر العربي ، ص : ٢٠١ .

إليه الخبرة بالنفس الإنسانية " ١ .  
وكذلك نجد بنت الشاطئ قد ربطت نقدها بقضية اجتماعية ، وهي قضية تحرير المرأة ، فقالت :

" فتحن لم نطالب بحريتنا ، لن Heidi بعواء الجنس ، كما فعلت ليلى بعلبكي في " الآلة المسوخة " ولا لنسقط في الليلة الواحدة التي يغيب فيها عن حارس القفص كما فعلت كوليت " ليلة واحدة " لا لنفترف الخطيئة مع زائر غريب يدخل مخدع الزوجية لأول مرة في غياب الزواج كما فعلت صوفيا عبد الله في " عاصفة في قلب " ولا لنصرخ في خبال كما صرخت هيفاء الشنواني في " انطلاقها " ..... وإنما طالبنا بحريتنا ، لتكون عزة أنوثتنا بأيدي الحراس ، ولتكون كرامة عفتا بإرادتها ، ولنست مفروضة علينا فرضاً بالأقفال أو الأقفال " ٢ .

يستفاد من هذا أن الطبع الإنساني ، يعني عواطفه الذاتية وأحساسه الخاصة ، وأن المجتمع الإنساني ، يعني قضياته ومشكلاته بما عنصران جوهريان في نظرية نقد بنت الشاطئ ، بل إن دامجهما هو العنصر الوحيد عندها ، فكلما كان الأدب يمثل الصلة الصادقة القوية بين نفس الأديب وبين قضايا المجتمع ومشكلاته كان الأدب أجمل وأصدق وأقوى ، لأن منبع الأدب أصلاً هو نفس الفنان ، التي هي كالبحر ، تتضطرب دائماً بأمواج قوية صاحبة ، وتجري فيها تيارات عنيفة جياشة من العوطف كما سبق ذكرها في النقطة الثانية ، ولكن لا يأتي ماء البحر إلا من المجتمع الذي يعيشها ، كما مر في النقطة الأولى ، وتعبر بنت الشاطئ بما يحصل من النفس بالفن ، وما يحصل من المجتمع بالحياة ، والصلة بينهما عندها وعند شيخها " أمين الخلوي " حتمية كما قلت ، ومن هنا جاء اسم المدرسة التي تتنسب إليها بنت الشاطئ في الأدب ، " الأمنان : مدرسة الفن والحياة " .



١ الشاعرة العربية المعاصرة ، بنت الشاطئ ، دار المعرفة ، القاهرة ، طبعة ثانية : ١٩٦٥ ، ص : ٥٦ ، ٥٧ و ٥٨ .

٢ الشاعرة العربية المعاصرة ، بنت الشاطئ ، دار المعرفة ، القاهرة ، طبعة ثانية : ١٩٦٥ ، ص : ٥٧ .

## الأسلوبية بين حذورها ومقابلاتها

(الحلقة الثانية)

\* د. ثمامنة فيصل بن أبي المكارم

دراسة الأسلوب باعتباره إضافة : Addition

ذهب بعض الباحثين واللغويين إلى أن الأسلوب إضافة ، وهذا يعني أن الأسلوب شيء يضاف أو يُزَاد إلى اللغة عبراً ما يمكن أن يميز الكلام بسمةٍ أو علامة من العلامات الأسلوبية . فاللغة في أصلها وجوهرها خالية مجردة من الأسلوب ، فيتم إضافة الأسلوب إليه عن طريق استعمال اللغة بطريقة شخصية مميزة . ومن الظاهر أن هذه النظرية الأسلوبية تقوم على نظرية رائد علم اللغة الحديث فرديناند دي سوسيير الذي فرق بين اللغة واستعمالها الشخصي الذي سمأه كلاماً . فاللغة في نظره هي المادة الخام ، والكلام هو الاستعمال الشخصي لتلك المادة . وإذا أضيفت إلى هذا الاستعمال الشخصي لغة عناصر خاصة وسمات مميزة ، فإنه يتحول إلى الأسلوب . فـ "الإضافة" في هذا السياق الأسلوبية هي إضفاء ميزات وسمات لغوية مميزة على مادة اللغة لم تكن توجد فيها من قبل . وهذا هو مفهوم دراسة الأسلوب باعتباره إضافة . فالمحلل الأسلوب أو العالم الأسلوب يحاول في دراسته الأسلوبية تحديد هذه السمات والميزات الإضافية في نص ما ، ويسعى إلى تحليلها . وهذا يعني أن كل كلام أو تعبير منه ما هو "متأسلب" أي ذو أسلوب ومنه ما هو "غير متأسلب" أي خال من الأسلوب .

وقال الباحث العراقي المعاصر حسن ناظم في كتابه : البنى الأسلوبية : دراسة في أنشودة المطر للسياب ، أثناء حديثه عن هذه النظرية الأسلوبية : " إن النظر إلى الأسلوب بوصفه إضافة يفترض وجود تعبير محايد . إن هذا التعبير المحايد يخلو تماماً من كل سمة أسلوبية ويُسمى التعبير غير المتأسلب Styleless أو تعبير ما قبل الأسلوب Pre-stylistic . ومن هنا ينظر إلى الأسلوب بوصفه إضافة إلى هذا التعبير المحايد أو غير المتأسلب " .

\* قسم اللغة العربية ، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية ، فرع لكتاب

وأضاف حسن ناظم قائلاً : " ويتجه المدخل الأسلوبي لمعالجة النص الشعري على وفق هذه النظرية من التعبير ذي السمة الأسلوبية ، إذ يمارس تعرية معينة للنص من سماته الأسلوبية بُغية الوصول إلى التعبيرات غير المتأسلبة ، ومن ثم تبدأ المقارنة بين التعبيرات المتأسلبة وغير المتأسلبة " .<sup>١</sup>

فقسم الباحث التعبير أو الكلام إلى ما هو متأسلب وما هو غير متأسلب . فالأسلوب ، بناءً على هذا ، ميزة إضافية تتحلى بها قطعة من النص أو التعبير أو الكلام وتتميز بها عما سواها . هذا ، وقد ربط موسى رياضة هذه الإضافة بالمؤثرات الوجدانية والعاطفية للإنسان ، فقال متحدثاً عن نظرية الإضافة الأسلوبية : " إن تعريف الأسلوب بأنه إضافة يرتبط ارتباطاً محورياً وثيقاً بالجانب الإنساني والوجداني والعاطفي ، وكل تعبير لا يحقق هذه الوظيفة فهو تعبير غير متأسلب إطلاقاً ، فليست كل التعبيرات قادرة على أن تحمل شحناً عاطفياً ووجدانياً للغة ، فهناك تعبيرات لا تحتوي على أي شحن عاطفي للغة ، وبذلك تكون بعيدة عن أن تُؤسَّم بأنها أسلوب " .<sup>٢</sup>

وقد شبَّهَ موسى رياضة هذه النظرية للإضافة في التعبير بالإضافة في الفنون الأخرى ، فقال : " وإذا كان الأسلوب إضافة فإنه يعني التحسين والزخرفة والتجميل للتعبيرات المحايدة البريئة من أية أسلبة ممكنة ، ولكن هل التحسين والزخرفة والتجميل عناصر تأتي دون أن تميز عملاً فنياً ما . إن الإضافة في الأسلوب الأدبي تقابل الإضافة في الفنون الأخرى من مثل الرسم وغيرها من الفنون التشكيلية ، فالألوان والخطوط التي تُضاد إلى اللوحة الفنية لا بد أنها متضمنة لفاعليَّة ولتأثيراتٍ فنيَّة ووجدانيةٍ تُسْهِمُ في حُلُقِ التفاعل بين الإضافة في التعبير وبين القارئ " .<sup>٣</sup>

ولو وافقنا رياضة وسلمتنا أن الأسلوب إضافة ، وأن الباحث الأسلوبوي يحاول تحديد هذه الإضافات الأسلوبية في نص ما ، ولو سلمتنا كذلك أن التعبيرات التي لا تحتوي على أي شحن عاطفي Emotional

١ البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب ص ٤٢

٢ الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها ص ٢٤

٣ المصدر السابق ص ٢٢

Lode لغة تكون بعيدةً عن أن تُوسم بأنها أسلوبٌ ، كما قال رياضة ، فإنَّ السؤال الذي يطرح نفسه هو : " هل يصح أن نسلم أنَّ كُل عمل أدبي يحمل بالضرورة شحناً عاطفياً ، وأنه يمثّل عواطف الأديب أو الكاتب ؟ أم من الأدب ما قد لا يعكس عواطف الأديب أو الكاتب ؟ فهل يمكن إذن أن نوافق رياضاً في رأيه حيث قال : " المرء لا يمكن أن يتصور أن هناك عملاً أدبياً دون أن يكون له أسلوبٌ يميّزه عن غيره " .

#### دراسة الأسلوب باعتباره اختياراً Choice / Selection :

لقد شاع في الدراسات الأسلوبية أنَّ الأسلوب اختيار أو Choice أو Selection ، والمنشىء حسب هذه النظرية يختار من إمكانيات اللغة ما يستطيع أن يختار ليتحقق به هدفه من استعماله اللغوي . وكل لغة تحتوي على ذخيرة من المفردات والبني النحوية المختلفة ، والأسلوب هو اختيار مفردات معينة وبنى نحوية خاصة من تلك الذخيرة المعجمية والنحوية ، وتوظيفها وترتيبها بطريقة يختارها المنشيء ثم يعرضها ويقدمها إلى المتلقي أو القارئ . فبناءً على هذا الرأي يُنظر إلى الأسلوب بوصفه اختياراً .

وقد أشار صلاح فضل أثناء حديث عن نظرية الاختيار إلى نوع من علاقة التبادل بين إمكانات اللغة الاختيارية ، فقال : " فالأسلوب يولد - طبقاً لذلك - نتيجة لانتقاء المؤلف من بين إمكانات اللغة الاختيارية التي تقوم بينها علاقة التبادل ، مما يجعل من الميسور ملاحظة الفوارق الأسلوبية في نصوص تتتمي لنفس اللغة عندما تؤدي جميعها المحتوى الإعلامي ذاته بأشكال مختلفة " .

وقد فرق بعض الباحثين بين اختيار لساني واختيار أسلوبي ، وقالوا ثمة اختيارات من حيث استعمال الإنسان لغته ، أحدهما : اختيار لساني - أو بعبارة دقيقة اختيار كلامي - يستخدم في الاستخدام الاعتيادي للغة ، والأخر : اختيار متميّز يستخدم في الاستعمال غير

١ المصدر السابق ص ٢٥

٢ البنى الأسلوبية: دراسة في أنسودة المطر للسياب ص ٥٣ ، والأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها ص ٢٦

٣ علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته ص ١١٦

الاعتراضي للغة ، وذلك هو الاختيار الأسلوبى .<sup>١</sup> فلا يتسم الاختيار العادى للغة في نظر هؤلاء الباحثين بأى أسلوب ، فهو اختيار لساني . ولكن السؤال هو : أليس من الكلام العادى أو الاستخدام العادى للغة ما يوجد فيه أسلوب ؟ هل الأسلوب خاص بالنصوص الأدبية والتعابير الخاصة ؟ هذا في نفسه موضوع مختلف فيه بين الباحثين ويمكن بحث هذه القضية في بحث مستقل .

والنقطة الثانية حول هذه النظرية هي أن هذا الاختيار الذي يتم خص عنه الأسلوب اختياراً واعياً ومقصوداً وإرادياً وليس اختياراً عشوائياً . وهذا ما أشار إليه رباعية حيث قال : " إن عملية الاختيار عملية واعية ومقصودة من المنشيء ؛ لأنها يسعى إلى أن يختار من بين إمكانيات متعددة وكثيرة ، فالاختيار يكون واعياً ومقصوداً ". وقد تحدث رباعية عن عناصر الاختيار ، وقال : إنها ترتبط بالخبر أو الرسالة التي يريد المنشيء أن ينقلها إلى المتلقى ، كما ترتبط بالصورة المفظية التي يريد توصيل الرسالة من خلالها . وأكّد على أن الفایة من عملية الاختيار هي عملية جمالية ، تسعى إلى تشكيل الإثارة والدهشة عند المتلقى .

وقد وسّع بعض الباحثين مفهومَ الاختيار ، وحددوا له أنواعاً مختلفة ينشأ منها ما يسمى الأسلوب . فقسمه بعضهم بمن فيهم الباحث اللغوي برندي سبلنر Bernd Spillner إلى : اختيار الفرض من الحديث أو قصد الكلام ، واختيار موضوع الكلام ، واختيار الشفرة اللغوية أو الرمز اللغوي ، والاختيار النحوى ، والاختيار الأسلوبى .<sup>٢</sup> والسؤال الذي قد يتبرأ إلى أذهاننا الآن هو : هل يصير كل اختيار أسلوباً ؟ فقد أثار رباعية هذا السؤال ، ورد عليه قائلاً : " وتبقى هنا إشكالية مهمة تتعلق بالاختيار تمثل في السؤال الثاني : هل يعد كل اختيار أسلوباً ، فالجواب : ليس كل اختيار أسلوباً وبخاصة إذا كان الاختيار لا يحمل بين ثيابه أية

<sup>٣</sup> البنى الأسلوبية: دراسة في أنسودة المطر للسياب ص ٥٤، والأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها ص ٢٩

<sup>٤</sup> الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها ص ٢٨

<sup>٥</sup> علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته ص ١١٧، الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها ص ٣٠

قيمة جمالية أو فنية " .

ولكن دراسة الأسلوب على أنه اختيار ليس أمراً سهلاً وميسراً؛ لأن التمييز بين سمات الصياغة التي تعني دلالة خاصة وبين الصياغة التي تعني دلالات أخرى مختلفة يبدو في كثير من الأحيان صعباً ، كما أن اكتشاف هذه الاختيارات قد لا يتيسر للباحث بعد أن يكون النص موجوداً بين يديه في صورته الأخيرة وتكون الاختيارات قد تم إجراؤها فعلاً .

دراسة الأسلوب باعتباره انحرافا Deviation يدرس الأسلوب عند أصحاب هذه النظرية باعتباره انحرافاً عن المعيار . فيفترض بموجبها وجود نمطٍ معياري Standard Norm لأداء المعاني والمفاهيم ، والكاتب أو المنشيء ينحرف عن هذا النمط المعياري للتعبير؛ ليصوغ له نمطاً جديداً أو صورة لفظية جديدة لتوصيل صورته الذهنية إلى القارئ أو المتلقى . فيحلل العالم الأسلوبي هذا الانحراف عن المعيار ، ويقارن بينهما لفهم السمات التعبيرية للنص .

وقد تحدث سعد مصلوح عن هذه النظرية ، وقال : وثمة رؤية أخرى للأسلوب ترى فيه مفارقة Departure أو انحرافا Deviation عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري Norm . ووضح الباحث نوع المقارنة بين النمط المعياري والانحراف منه مؤكداً على أن هذه المقارنة بينهما هي أداة الدراسة الأسلوبية عند أصحاب هذه النظرية ، فقال : وأداة التحليل الأسلوبي عند أصحاب هذا الرأي هي المقارنة بين الخصائص والسمات اللغوية في النص النمط مرتبطة بسياقاتها وبين ما يقابلها من خصائص وسمات في النص المفارق أو المنحرف .

وقال رابعة : إن تعريف الأسلوب بأنه انحراف من أكثر تعريفات الأسلوبية شهرة وانتشاراً ، ويرتبط الانحراف بالاختيار ارتباطاً وثيقاً : لأن

<sup>٣</sup> الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها من ٣٤، وانظر لتفصيل حول نظرية "الاختيار" مقال: الأسلوبية اللسانية، للكتاب أولريش بيوشل، الترجمة العربية: خالد محمود جمعة ، مجلة: نوافذ، العدد: جمادى الآخرة ١٤٢١هـ، ص ١٢١

<sup>٤</sup> الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية: سعد مصلوح من ٤١

<sup>٥</sup> المصدر السابق من ٤٣

<sup>٦</sup> المصدر السابق من ٤٣

الاختيار يقوم على إمكانيات متعددة تفتح المجال لحدوث الانحراف<sup>١</sup>. ومال رياضة إلى أن ظاهرة الانحراف الأسلوبي هي أبرز ظاهرة أسلوبية يُعنى بها النقد الألسيني الحديث، وهذا المصطلح أكثر المصطلحات إشكالية في الدراسات الأسلوبية خاصة، وفي الدراسات النقدية عامة<sup>٢</sup>.

رأينا أن سعد مصلوح استعمل مصطلح Departure أيضاً مع استعماله مصطلح الانحراف. وقد تعددت أسماء هذه النظرية عند اللغويين الغربيين والعرب، بينما نجد جذور هذه النظرية في تراثنا العربي القديم بسميات مختلفة. أما المسميات الحديثة التي تطلق على هذه النظرية فقد أشار إليها رياضة حيث قال: "وُجِدَ له أكثرُ من مرادٍ من مثل الانزياح والتجاوز والاحتلال والإطاحة والمخالفة والشناعة والانتهاك وخرق السنن واللحن والعصيان والتحريف". وذكر له الباحث تسميات أخرى في موضع آخر فقال: "وقد اختلفت أسماء هذا المصطلح في النقد الغربي وذلك باختلاف النقاد الذين تعاملوا معه، فقد عده بول فاليري Paul Valery (ت ١٩٤٥م) تجاوزاً، ورولان بارت Ronald Barthes (ت ١٩٨٠م) فضيحةً، وتودوروف Todorov شذوذًا، وجون كوهن Jonathan Cohen (ت ٢٠٠٦م) انتهاكاً، وتيري Terry (ت ٢٠٠٥م) كسراً، وأراجون جنوناً". وهذه مصطلحات جديدة لتحديد هذا المفهوم الحديث للانحراف.

وقد ورد ذكر نظرية الانحراف بأسماء مختلفة عند النقاد واللغويين والبلاغيين العرب القدامى، وبخاصة أثناء حديثهم عن المجاز والحقيقة والاستعارة والتقدم والتأخير والحدف والإيجاز والإطناب. فيرى رياضة أن "التوسيع" أو "الاتساع" يكاد يكون من أكثر المصطلحات انتشاراً، خصوصاً في مصنفات القدماء للدلالة على كل استخدام ينتهك النمط التعبيري المألوف، ويختطف ما جرت العادة باستعماله. وقد ذكر

<sup>١</sup> الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها ص ٣٤

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ٤٣

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ٣٥

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ٤٤

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ٤٧



الباحث مصطلحاتٍ عربيةً أخرى استعملها القدماء مثل الغرابة والطرافة والعجب والعدول ، وقال : إن مفهوم الانحراف ما هو إلا محاولة لتأويل هذه المصطلحات القديمة<sup>١</sup> .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هو هذا المعيار أو النمط المعياري الذي يقع الانحراف عنه ، وكيف يمكن تحديد هذا المعيار ؟ فقد شغلت هذه القضية الباحثين قديماً وحديثاً . وقد سمي رولان بارت هذا المعيار درجة الصفر للكتابة ، ودرجة الصفر في نظره تعني المدلول الذي تدل عليه كلُّ كلمة في أصل اللغة ، وهي دلالة حرف معجمية لا تحتاج إلى تأمل وتأويل ، وهي خالية من كل شحنٍ عاطفي أو عناصر معنوية وأسلوبية أخرى . وقد حددَ هذا المعيار كذلك باعتباره : الاستعمال الدارج والاستعمال الشائع والوضع الجاري والسنن اللغوية والعبارة البريئة ، فالأسلوب إذن هو الخروج والانحراف عن هذا الشكل الخام للغة إلى ما يُسمى تعبيراً متأسلاً . هذا ، وقد وجدت لمصطلح المعيار الذي يقع عنه الانحراف مصطلحاتٍ مماثلة لدى النقاد والبلاغيين العرب أيضاً ، من مثل : أصل اللغة ، وأصل الوضع ، والحقيقة<sup>٢</sup> ، وحد<sup>٣</sup> الاستعمال والعادة . وقد استعمل عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) مصطلح : "العرف والعادة" ، و "عرف الاستعمال" في دلائل الإعجاز ، وهو ما في الحقيقة يدلان في نظره على ما يدل عليه مصطلح المعيار في الدراسات الأسلوبية الحديثة . وقد استعمل ابن قتيبة مصطلح "العادة" لهذا المفهوم نفسه ، فقال في كتابه الشعر والشعراء : والعادة في هذا أن توصف ... . فهذه الاستعمالات القديمة لهذا المصطلح تدل دلالة واضحة على وجود جذور الأسلوبية ومفاهيمها الحديثة في تراثنا العربي القديم .

(للبحث صلة)

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ٤٩

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ٥٥

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ٣٥

<sup>٤</sup> دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ص ١٦٥

<sup>٥</sup> دلائل الإعجاز ص ٣٦٣

<sup>٦</sup> الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٠٨

## الهند وثقاليها الاجتماعية في رحلة ابن بطوطة

الباحثة زرفشان خان<sup>١</sup>

إن أرض الهند أرض طيبة خصبة قد خصها الله عزوجل بمميزات عديدة ، وصب على أهاليها الفضل والشرف ، وهذا من كثير من الحسنات ، واصطفاهم للأعمال الصالحة ، كما تمتاز التربية الهندية باحتضان بلاد كثيرة باختلاف أقطارها وتعدد أصول سكانها ، وتنوع عقائد أهلها وأفكارهم المتباينة ونظرياتهم المتضاربة ، بالإضافة إلى تقاليدهم الاجتماعية العجيبة وعاداتهم الغريبة . فما من نسمة أنضمت ركاب الترحال إلى الهند إلا كانت أسيرة بمميزات تقاليدها ومسحورة بسحر عاداتها ، ومن بينهم أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة .

### كلمة "الهند" :

وكلمة "الهند" مألوفة ومستعملة عند العرب ، لا سيما في أشعارهم . وقال الأزهري : والأصل في التهنييد عمل الهند ، يقال : سيف مهند وهندي وهندواني إذا عمل ببلاد الهند وأحکم عمله ، و "المهند" السيف المطبوع من حديد الهند ، و "هند" اسم بلاد ، والنسبة "هندي" ، والجمع "هنود" ، كقولك : زنجي و زنجوج . و "سيف هندواني" بكسر الهاء ، وإن شئت ضممتها إتباعاً للدال . قال ابن جني : ويقال رجل هندي وهنديكي ، قال : ولو قيل إن الكاف أصل وإن هندي وهنديكي أصلان بمنزلة سبط وسيطر لكان قوله (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٥ - ١٦ ، ص ١٠١) .

وكفي بالهند فضلاً وشرفاً وفق بعض الروايات أن آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والتحية ، نزل في أرض الهند . وروي ابن أبي حاتم الرازي والحاكم وابن جرير الطبراني عن ابن عباس : "إن أول ما أهبط الله آدم

<sup>١</sup> ماجستير بقسم اللغة العربية وأدبها ، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية

إلى أرض الهند ، وفي لفظ بديجني أرض الهند ( غلام علي آزاد البلغاري ، سبحة المرجان في آثار هندوستان ، ص ٦ ، و " قاضي أطهر مباركفورى : عرب وهندي عهد رسالت مين ) ( ص ١٥١ ) .

إن ابن بطوطة الرحالة ألقى عصا الترحال إلى عديد من البلاد الهندية إلى جانب الدول الأخرى ، وولي وجهه وركز عناده أثناء مكوثه في الهند على العادات الهندية والتقاليد الاجتماعية ، وعرض مشاهده وانطباعاته بأسلوبه الأنيد وطرازه الطريف ، ويقدم صوراً عديدة من تقاليدها الاجتماعية قد تخفي على كثير من الناس .

إن المجتمع الهندي كما يتجلى واضحاً أثناء هذه الدراسة كان موزعاً بين قبائل وطبقات ، وأمم وشعوب ، وكان متلوثاً بالظلم السائد والجهالة والأمية والقسوة العنيفة والنزعات الكريهة والصراعات الدامية ، فتتரجح المجتمع الهندي بنور الإسلام وتتمتع بتعاليمه السامية وأوامره السنوية فتبوات الهند بين الأمم الأممية منزلة عالية ، كما أثرت الثقافة العربية في حياة الهند الاجتماعية بناحتين : الناحية الأولى : هي مخالطة العرب أبناء الهند مباشرة ، والناحية الثانية : كانت بوساطة دولة إسلامية أقامها العرب في الهند ، وكان مدى التأثير واسعاً ومتنوياً .

وقد تحدث أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن بطوطة الرحالة عن عادات ملوك الهند وإكرامهم الغرياء ومحبتهم وتخسيصهم بالولايات والمراقبة الرفيعة ، كما تناول عادات التجار الذين كانوا ببلاد الهند والسندي يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير ديناً ، ويجهزونه بما يريد أن يهديه إليه ، أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والأمتعة ويخدمونه بأموالهم وأنفسهم ، ويقفون بين يديه كالحشم .

فيقول : ومن عادة ملك الهند السلطان أبي المجاهد محمد شاه ، إكرام الغرياء ومحبتهم وتخسيصهم بالولايات والمراقبة الرفيعة ، ومعظم خواصه وحجابه وزواجه وقضائه وأصحابه غرياء ، ونفذ أمره بأن يسمى الغرياء في بلاده ، الأعزـة ، فصار لهم ذلك اسمـاً عـلـماً ، ولا بد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها إليه ويقدمها وسيلة بين يديه ، فيكافئه

السلطان عليها بأضعف مضاعفة ، وسيأتي ذكر هدايا الملك الغرباء إليه كثيراً .

ولما تعود الناس ذلك منه صار التجار الذين ببلاد السند والهند يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير ديناً ، ويجهزونه بما يريد أن يهدى إليه ، أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والأمتعة ، ويخدمونه بأموالهم وأنفسهم ، ويقفون بين يديه كالحشم ، فإذا وصل إلى السلطان أعطاه العطاء الجزيل فقضى ديونهم ووفاهم حقوقهم ، فنفقت تجارتهم وكثرت أرباحهم ، وصار لهم ذلك عادة مستمرة . (ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار صادر بيروت لبنان ، طبعة ثلاثة ٢٠٠٩ م ، ص ٢٢٩) .

إن التقاليد العادلة الاجتماعية والعادات القديمة الهندية تتضح جلياً أثناء رحلة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ابن بطوطة إلى بلاد الهندية ومكوثه فيها ، فيقول عن الطائفة الهندية السامرة وأحوالهم الاجتماعية وتقاليدهم الغريبة : وسرنا من نهر السند يومين ، ووصلنا إلى مدينة جناني ، مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند ، لها أسواق مليحة ، وسكانها طائفة يقال لهم السامرة ، استوطنوها قديماً ، استقر بها أسلافهم ، حين فتحها على أيام الحجاج بن يوسف ، حسبما ثبت المؤرخون في فتح السند ..... وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسامرة لا يأكلون مع أحد ولا ينظر إليهم أحد حين يأكلون ، ولا يصافرون أحداً من غيرهم ، ولا يصافرون إليهم أحد . وكان لهم في هذا العهد أمير يسمى ونار . (ص ٢٣٠) .

إضافة إلى ذلك ، إن الرحالة ابن بطوطة تابع كلامه بذكر العادات المكرورة والأعمال المستهجنة التي تورط فيها المجتمع الهندي ، منها : إحراق المرأة بعد وفاة زوجها ، وذلك لأن أهل الهند كانوا يعدونه أمراً مندوباً ، كما كانوا يعتقدون أنه يجلب الشرف الكبير بعملية إحراق المرأة لأسرتها وتؤدي بذلك وفاة كاملاً لزوجها ، علي حين من لم تحرق نفسها لبسن الثياب ، وأقاموا عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها ، ولكنها لا تكره على إحراق نفسها ، (ويتضح جلياً من هذه

العادات والتقاليد ككيف من الإسلام على المرأة بإضافة خلع العز والشرف عليها في المجتمع الإنساني ) فاستطرد قائلاً :

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرينا ، ومعهم بعض أصحابنا ، فسألتهم : ما الخبر ؟ فأخبروني أن كافرا من الهند مات ، وأوجبت النار لحرقه ، وامرأته تحرق نفسها معه . ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه ، وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهند متزينة ، راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر ، والأطبال والأبواق بين يديها ، ومعها البراهمة ، وهم كبراء الهند ، وإذا كان ذلك ببلاد السلطان استأنوا السلطان في إحراقها فيؤذن لهم ، فيحرقونها .

ثم اتفق بعد مدة أني كنت بمدينة أكثر سكانها الكفار تعرف بـ أبي حري ، وأميرها مسلم من سامرة السندي ، وعلى مقرية منها الكفار العصاة ، فقطعوا الطريق يوماً ، وخرج الأمير المسلم لقتالهم ، وخرجت معه رعية من المسلمين والكافر ، ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر . وكان لثلاثة منهم ثلاثة زوجات ، فاتققن على إحراق أنفسهن ، وإحراق المرأة بعد زوجها عندم أمر مندوب إليه ، غير واجب ، لكن من أحرق نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفا بذلك ، ونسبوا إلى الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها لبس خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها ، ولكنها لا تكره على إحراق نفسها . ( ص : ٢٣٩ ) .

وكذلك يفعل أهل الهند أيضاً في الفرق ، يُفرق كثير منهم أنفسهم في نهر الكنك ( هو ما نسميه نهر الكنج ، وهو النهر المقدس عند الهند ) وهو الذي إليه يحجون وفيه يرمي برماد هؤلاء المحرقين ، وهم يقولون إنه من الجنة ، وإذا أتي أحدهم ليُفرق نفسه يقول لهن حضره: لا تظنوا أني أغرق نفسي لأجل شيء من أمور الدين ، أو لقلة مال ، إنما قصدي التقرب إلى كسي ، وكسي اسم الله عزوجل بلسانهم ، ثم يفرق نفسه، فإذا مات أخرجوه وأحرقوه ورموا برماده في البحر المذكور . ( ص : ٢٤٠ ) .

فضلاً على التقدم الحضاري ، كان أهل الهند يعظمون البقرة ويحترمونها ، ومن أعجب العجب أنهم يشربون أبوالبقرة للاستبراك

وللاستشفاء حتى يلطخون البيوت والجدران بأرواثها ، فأضاف ابن بطوطة قائلاً :

ولما ملك خسرو خان آخر الهند ، وأظهر أمرأه منكرة ، منها النهي عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهند ، فإنهم لا يجيزون ذبحها ، وجزء من ذبحها عندهم أن يخاطر في جلدتها ويحرق ، وهو يعظامون البقر ، ويشربون أبوالها للبركة وللاستشفاء إذا مرضوا ، ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها ، وكان ذلك مما يغض خسرو خان إلى المسلمين وأماليهم عنه إلى تقلق ، فلم تطل مدة ولايته ، ولا امتدت أيام ملوكه . (ص: ٢٥٣).

ولي ابن بطوطة وجهه ، جنباً على جنب ، إلى عادات أهل الهند في الأكل والطعام وهو موزع بين الطعام العام والطعام الخاص ، واهتمامهم البالغ أيام العيد بأنواع عديدة وطرق مختلفة وما إلى ذلك من العادات الموروثة والتقاليد القديمة في عديد من مجالات الحياة التي تميز الهند في العالم ، فقال :

"إذا كانت ليلة العيد بعث السلطان إلى الملوك والخواص وأرباب الدولة والأعزاء والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الأخبار الخلع التي تعتمد جميعاً ... ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأبدع الزينة ويتضرب الباركة على المشور كله ، وهي شبه خيمة عظيمة ، تقوم على أعمدة ضخامة كثيرة ، وتحفها القباب من كل ناحية ، ويصنع شبه أشجار من حرير ملون ، فيها شبه الأزهار ، ويجعل منها ثلاثة صفوف بالمشور ، ويُجعل بين كل شجرتين كرسي ذهب ، عليه مرتبة معطاة ، وينصب السرير الأعظم في صدر المشور ، وهو من الذهب الخالص ، كله مرصع القوائم بالجواهر ، وطوله ثلاثة وعشرون شبراً ، وعرضه نحو النصف من ذلك ، وهو منفصل ، وتجمع قطعه فتتصل ، وكل قطعة منها يحملها جملة رجال لثقل الذهب ، وتجعل فوق المرتبة ، ويرفع الشطر المرصع بالجواهير على رأس السلطان" . (ص: ٢٥٩، ٢٦٠).

ثم تحدث عن عاداتهم في إطعام الناس في الولائم فيقول : "عادتهم ببلاد الهند وببلاد السرا أنه إذا فرغ منأكل الطعام في الوليمة جعل أمام كل إنسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وعاء شبه المهد ، له أربع قوائم ، منسوج سطحه من الخوص ، وجعل عليه الرقاق ورأس غنم

مشوي ، وأربعة أقراص معجونة بالسمن مملوئة بالحلوء الصابونية ، مغطاة بأربع قطع من الحلوء كأنها الأجر ، وطبق صغير مصنوع من الجلد فيه الحلوء والسموسك ، ويغطي ذلك الوعاء بشوب قطن جديد ، ومن كان دون من ذكرناه جعل أمامه نصف رأس غنم ، ويسمونه الزلة ، ومقدار النصف مما ذكرناه ، ومن كان دون هؤلاء أيضاً جعل أمامه مثل الربع من ذلك ، ويرفع رجال كل أحد ما جعل أمامه" . (ص : ٣٠٥) .

لم يكتف همة ابن بطوطة بالرحلة عند استعراض العادات والتقاليد ، بل امتد به العزم إلى أن يتناول حرف أهل الهند ومهنهم وزراعتهم للحبوب المتنوعة في أيام مختلفة وهي تدل على براعتهم وخبرتهم على أمور الزرع في اختيار الحبوب والغالل باختلاف الزمان وتغيره ، فيقول: "أهل الهند يزدرون مرتين في السنة ، فإذا نزل المطر عندهم في أوان القيظ زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستين يوماً من زراعته ، ومن هذه الحبوب الخريفية عندهم الكذرو ، وهو نوع من الدخن ... . ومنها القال وهو شبه أثلي ، ومنها الشاماخ وهو أصغر حباً من القال .... . وإذا حصدوها بعد ستين يوماً من زراعتها أزدرعوا الحبوب الريوية ، وهي القمح والشعير ، والحمص والعدس ، وتكون زراعتها في الأرض التي كانت الحبوب الخريفية مزدرعة فيها" . (ص : ٢٢٨) .

ثم استطرد قائلاً: ثم سافرنا من مدينة جناني إلى أن وصلنا إلى مدينة سيستان ، وهي مدينة كبيرة ، وخارجها صحراء ورمال لا شجر بها إلا شجر ألم غيلان ، ولا يزرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ ، وطعمهم الذرة والجلبان ، ويسمونه المشنك ، ومنه يصنعون الخبز ، وهي كثيرة السمك والألبان والجاموسية ، وأهلها يأكلون السقنقور ، وهي دوبية شبيهة بأم حبين ، التي يسميها حنيفة الجنة ، إلا أنها لا ذنب لها .

ورأيتهم يحتفرون الرمل ويستخرجونها منه ويشقون بطنهما ، ويرمون بما فيه ، ويحشونه بالكركم ، وهم يسمونه زَرْدَشُوَيَة ، ومعناه العود الأصفر ، وهو عندهم عوض الزعفران ، ولما رأيت تلك الدوبية وهم يأكلونها استقدرها فلم آكلها . (ص : ٢٣١) .



## الوحدة الإسلامية هي الحل الوحيد للأزمات المعاصرة

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوبي

إذا استعرض أحد الأوضاع العالمية ، وجد أن المسلمين أسوأ حالاً ، وأكثر تعرضاً للاعتداء والهجوم ، ويقاس ذلك بـنسبة المسلمين الأعلى في النازحين ، وكذلك المسلمين أكثر تعرضاً لخرق حقوق الإنسان ، ويواجهون الكبت والحرمان من حرية التعبير ، والعقيدة ، وممارسة شعائرهم الدينية والمظاهر الثقافية ، والحقوق السياسية ، وإدارة نظم التعليم والتربية حسب تصورهم ، فهم في سائر هذه الميادين محرومون من حقوقهم الأساسية ، وتفرض عليهم أفكار وتصورات وطرق ومناهج للحياة لا تتطابق مع ذوقهم وطبيعة حياتهم ، ويتعرض المسلمون حيناً لآخر لاعتداءات المسلحة ، ويتكبدون بخسائر جسيمة في الأرواح والمتلكات ؛ ليس في منطقة واحدة ، بل في سائر أنحاء العالم حتى في أوروبا وأمريكا .

لقد قضى العالم الإسلامي حوالي قرن كامل تحت حكم الدول الأوروبية بما فيها الدول الرأسمالية في أوروبا الغربية ، والاشتراكية في أوروبا الشرقية ، وفرض عليهم المستعمرون أفكاراً ونظريات ، بالوسائل السياسية ، ونظم التعليم والتربية ، والإعلام ، فحدث بذلك في المسلمين انقسام فكري ونظري .

بتأثير قضاء فترة طويلة في الحكم الأجنبي ، ثم في عهد حكم الموالين للحكام السابقين يعيش العالم الإسلامي كله اليوم في وضع مأساوي ، يجري فيه صراع مسلح بين مختلف طبقات المسلمين أنفسهم ، تقع نتيجة لذلك خسائر فادحة في الأرواح ، سواء كان ذلك في العراق الذي شنت شمله الغزو الأمريكي ، ويجري فيه صراع بين السنة والشيعة والأكراد ، وتقتل الصحف كل يوم أخبار الخسائر التي تقع بالهجوم المسلح ، سواء كان الهجوم مباشرأ أم كان عن طريق التفجيرات ، ولا تستثنى من هذه الاعتداءات المساجد والمقابر ، وحفلات الزواج والعرس ، وعمليات التدفين ، حتى القيادات السياسية في ذلك البلد موزعة ، يجري بينها صراع دموي ، ولا توجد قيادة سياسية موحدة ، وإذا كانت القيادة السياسية موزعة ، والأمن الداخلي مفقوداً ، فكيف يمكن أن تعود الحياة إلى الوضع الطبيعي ، ويجري في البلد عمل بناء الوطن .

لقد كان العراق في التاريخ الطويل قبلة العالم ، وكان يعد قوة كبيرة ، يؤمن إلى بغداد والكوفة والبصرة رؤاد العلم ، وكانت هذه المدن مراكز الإشعاع الفكري والحضاري ؛ ولكن القيادات السياسية التي تولت الحكم في هذا البلد منذ نصف قرن بعد احتسار الاستعمار قضت فترة حكمها في أعمال تصفية أصحاب العقول والولاء للوطن ، والوفاء للإسلام والوطن الإسلامي ، ولجأت إلى أيدلوجيات وفلسفات مستوردة من الذين استعمروا العالم الإسلامي ، وقضوا على هويته ، ومعهم عالم تاريخه ، وجففوا منابع قوته ، من أجل الولاء للعناصر التي تترىص بالعالم الإسلامي الدوائر ، وخاصة مراكز القوة في العالم الإسلامي التي كان لها دور مجيد في التاريخ ؛ دور التصدي لغزو الأجنبي ، وللفلسفات الأجنبية من عهد العباسيين في القرن الثالث ، وواجه علماؤها الغزو الفكري من الفرس إلى اليونان والروم والهند ، وأخذوا ما طاب منها ، وبنذوا ما لم يطاب ، وأسسوا قاعدة للحضارة الإسلامية العالمية التي حملت أطiable الحضارات العالمية .

وبالإضافة إلى الاستعنة والاعتماد على هؤلاء المتربيين الذين كانوا يضمرون الحقد ، ويحملون روح الانتقام ، قبلوا الأفكار والنظريات والأيديولوجيات التي فرقت كلمة المسلمين ، ووزّعتهم على مخيمات ومعسكرات متصارعة بالإضافة إلى تصورات الوطنية والقومية التي وزّعت العالم الإسلامي الموحد في ظل الخلافة ، إلى أوطنان صغيرة ، وكيانات مصفرة متحاربة ، ثم غرس هؤلاء المتربيين والأعداء للوحدة الإسلامية اتجاهات وميولاً وعصبيات إقليمية بين هذه الكيانات المصفرة .

كان المسلمين في العالم كله أمة إسلامية واحدة بفضل الآية الكريمة " إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ أَمْتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ " [الأنبياء: ٩٢] ، وكانت الحدود والجغرافية للانظام بموجب آية " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَئِنْفَارَقُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ خَيْرٌ " [الحجرات: ١٢] .

وكان من تأثير هذه الوحدة أن حادثاً وقع في الهند كان له أثر في العاصمة الإسلامية في جزيرة العرب ، وكان للجريمة التي وقعت في أوروبا ضد المسلمين ، صدى في عاصمة الدولة العباسية في بغداد ، ويدرك التاريخ الإسلامي هذين الحادثين فكان فتح الهند للإسلام وفتح عمورية رمزاً لهذه الوحدة .

ومن أمثلة هذه الوحدة حركة الخلافة في الهند عندما تعرضت تركيا للمؤامرة الغربية ، وصمد مصطفى كمال باشا في وجه الغزو

اليوناني وأنقذ تركيا عسكرياً، وأكسبه عمله هذا لقب "الفازى" ولا يزال يعرف في الهند بهذا اللقب ، رغم وقوته في آخر المطاف في فخ الغرب الذي انتقم بالقضاء على الخلافة باجبار مصطفى كمال على قبول شروطه للصلح .

كانت هذه الوحدة في الشعور ، وفي الولاء ، وفي الانتماء إلى الإسلام سمة للمسلمين في الماضي ، بغض النظر عن الحدود الجغرافية ، كان شعارهم " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " [آل عمران: ١٩] ، " وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُفْلِتَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " [آل عمران: ٢٠٥] ، ولكن الولاءات لعوائد وأفكار ونظريات مستوردة كسرت هذه العروة الوثقى التي كانت تربط العالم الإسلامي كلها .

عندما كسرت هذه العروة الوثقى أو الجبل المتبين الذي كان يوحد العالم الإسلامي كله شهورياً وفكرياً وعقلياً وعملياً كان المسلمون قوة عالمية بفضلها ، وتفرقت كلمة المسلمين بغلبة النزعات الوطنية والإقليمية والفلسفات الفكرية بإعلان بعض القادة في العالم : مصر لمصريين ، والشام للشاميين ، ثم وزعت الفلسفات والانتماءات إلى أفكار متصارعة ، البلد الواحد على بلدان مختلفة ، قلم تبق مصر بلداً واحداً ، ولا الشام بلداً واحداً ، بل توزعت مصر إلى معسكرات وتكتلات ، وكذلك الشام والعراق ، وتتوزع كل بلد من هذه البلدان التي رفع قادتها شعار القومية ، إلى قوميات ووحدات متفرقة ، وكان هذا التفرق سبب الشقاء والصراع الذي يجري اليوم في العالم الإسلامي ، سواء كان ذلك في آسيا أو إفريقيا ، ولا يصعب على من يستعرض الظروف في إفريقيا أن يشاهد آثار هذا التفرق ، ونتائج هذا التفرق ، وكانت النتيجة الرئيسية لهذا التفرق غلبة الهوان ، وذهاب هيبة المسلمين من النفوس . " وَلَا تَأْرَعُوا فَتَفْشِلُوا وَلَا تَهْبَطُوا رِيحَكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " [الأنفال: ٤٤] ، " وَأَعْتَصِمُوا بِحَيْلَ اللَّهِ حَمِيمًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَالْأَفَ بَيْنَ قَلُوبِكُمْ فَاصْبِرُوهُمْ يَنْعِمُتُهُ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَقْدِذُكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهُدُونَ وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُمْكُنُ مُمْكُنًا أَمْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥] .

لقد خرجت هيبة المسلمين من القلوب في العالم كله ، وتشجع غير المسلمين عليهم في كل مكان ، وينجرأ واحد منهم فيحاول حرق القرآن ، والإساءة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد وصل الوضع إلى حد إهمال العالم كله معاناة المسلمين وشقاءهم ، وعدم اهتمامه بمساهمتهم ، ولا تحرّكه مواكب الشهداء وجثث القتلى وإن بلغت المئات والألاف ، ولا تشارق ضحاياهم في محافل الحقوق الإنسانية وأجهزة الأمن العالمي .

إن هذا الوضع المأساوي الذي يعيشه المسلمون ، نتيجة مباشرة لتفرق كلمتهم ، وتوزعهم على معسكرات ، وانتفاءاتهم إلى أفكار ونظريات متضادة ، والبحث عن حلول القضائية في منابر من يترىص بهم الدوائر ، ويقيد لهم مكايد .

ولا عزة ولا قوة للمسلمين ، سواء كانوا عرباً أو عجماً ، إلا بالإسلام ، وبالاعتصام بحبل الله المtin ، وقد أشار إلى ذلك العلامة أبو الحسن الندوبي - رحمه الله تعالى - وهو يخاطب الأمة العربية في حفلة التكريم في دبي عام ١٩٩٩ م فقال :

" إن الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد العربي صلى الله عليه وسلم ، منبع حياتكم ، ومن أفقه طلع صبحكم الصادق ، وأن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو مصدر شرفكم ، وسبب ذكركم ، وكل خير جاءكم . بل وكل خير جاء العالم . فإنما هو عن طريقه ، وعلى يديه ، أبي الله أن تشرفوا إلا باتسابكم إليه ، وتمسّكم بأذيه ، والاضطلاع برسالته ، والاستماتة في سبيل دينه ، ولاراد لقضاء الله ، ولا تبدل لكلمات الله ، إن العالم العربي بحر بلا ماء ، كبحر العروض ، حتى يتخد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إماماً وقائداً لحياته وجهاده ، وينهض برسالة الإسلام ، كما نهض في العهد الأول ، ويخلص العالم المظلوم من براثن مجانين أوربا الذين يأبون إلا أن يقبروا الدنيا ، ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير ، بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم ، ويوجه العالم من الانهيار إلى الإزدهار ، ومن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب ، إلى التقدم والانتظام والأمن والسلام ، ومن الكفر والطغيان ، إلى الطاعة والإيمان ، وإنه حق على العالم العربي سوف يسأل عنه عند ربه ، فلينظر بماذا يجيب ."

## حسبنا الله ، ونعم الوكيل

محمد فرمان التندوي

الإسلام دين السعي والعمل ، دين الثقة بالله والاعتماد عليه ، دين التوكل والتجلُّل ، دين يربط الإنسان بالله تعالى ، دين لا يمنعه من اتخاذ الأسباب ، بل يحث على أخذها ، وكل من لا يختار الأسباب يكون خاطئاً في فهم معنى التوكل على الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خمامساً وتتروح بطاناً ، ( رواه الترمذى : ٢٣٤٥ ) ، وقد أمر الله تعالى رسولنا العظيم محمدًا صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : وَشَاءُوهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (آل عمران : ١٥٩) .

إن التوكل على الله لم يزل شعار عباد الله الصالحين في الزمن الماضي ، فالأنبياء العظام الذين كانوا على أرفع درجة من التوكل ، يختارون الأسباب ، ويستخدمون التدابير ، رغم أنهم كانوا أصفباء ، وأتقىاء ، وهذا إبراهيم عليه السلام حينما رفع قواعد البيت أمره الله تعالى أن يعلن في الناس بالحج ، وكان يعلم حقاً أن صوته لا يصل إلا إلى مكان قريب فقط ، وكان الله قادرًا على أن يلقي في قلب كل إنسان زيارة البيت وفريضة الحج ، لكن حكمة الله تعالى اقتضت أن يعلن إبراهيم عليه السلام عن الحج ، ذلك لأن الإنسان مكلف باستخدام الوسائل ، ومأمور بالعزيزية الصادقة والإقدام على العمل ، فقال تعالى : وَأَدْنِ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتُينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (الحج : ٢٧ - ٢٨) ، وهذا يعقوب عليه السلام يرسل أبناءه إلى مصر ، وكانوا في جماعة ، فيختار تدبيراً مادياً ، وحكمة ظاهرة ، بحيث إذا دخلوا من باب واحد ، أصيروا بالعين أو فوجئوا بحادثة ، فيقول : يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة (يوسف : ٦٧) ، وهذا يوسف عليه السلام قد راودته امرأة العزيز ، حتى غلت الأبواب الحديدية ، وكانت مؤصلة ، حينما تقول : هيتك ، ينفلت يوسف عليه السلام إلى الأبواب ، وكان من ثمرة هذا الانفلات أن الأبواب الحديدية المغلقة تفتح بسرعة مدهشة ، كأنها لم تكون مغلقة ، وقد صدق من قال : السعي مني والإتمام من الله .

وقد اختار النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، الأسباب والوسائل في حياته ، ولم يكن مكتوف الأيدي ، وينتظر النصر من الله تعالى فقط ، فإن مكوثه في غار حراء ، وذهابه للتجارة إلى الشام ، وإبرام المواثيق ، وذهابه إلى الطائف ، واستغفاله بالدعوة ليل نهار ، ومعاهدته مع وفود يثرب قبل هجرته ، ثم مكوثه في غار ثور ، وحضره الخندق ، وهلم جرا - لا ينافي التوكل على الله ، ولا يضاد الثقة بالله ، وحينما ظهر شيء من التواكل بحيث أعجب المسلمين بكثرتهم فلم يفن عنهم شيئاً ، وضاقت عليهم الأرض بما رحب ، ثم تولوا مدربين ، ولا شك أن التوكل ضد التواكل ، وقد أبدى بنو إسرائيل نفسية التواكل حينما أمرهم الله تعالى أن يدخلوا الأرض المقدسة ، قالوا لموسى عليه السلام : إنّا لن نَذْخُلُهَا أَبْدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَإِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، فلم يقتضموا الأرض ، ولم يحرروا على الدخول فيها ، بل انتظروا الفرج والنصر من الله ، فحرم الله تعالى عليهم الأرض أربعين سنة فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض (المائدة : ٢٦) .

ينتظر كل إنسان في هذا العصر مشاهد بدر وحنين ، ولم يستعد لها استعداداً كاملاً ، بالرغم من أن الله تعالى يرحم هذه الأمة البائسة ، فينصرها على ضعف إيمانها وضالة يقينها ، فيا حبذا إذا كان الإيمان قوياً ، والعدة متكاملة ، فهناك يتحقق معنى التوكل على الله تعالى ، قال الله عز وجل : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَصْرُّرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُبَيِّنُ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَلُهُمْ وَأَضْلَلُ أَعْمَالَهُمْ (محمد : ٨ - ٧) ، وقال : وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ (الطلاق : ٣) . وجاء في السنن الكبرى للبيهقي أن عمرو بن أمية رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله : أرسل ناقتي ، وأتوكل ؟ قال : اقتلها وتوكل ( رقم الحديث : ٩٧١) . لا يعني هذا أن الأسباب هي الأصل ، بل الواقع أن الدنيا دار الأسباب لإنجاز الأعمال ، والعمدة هي الله تعالى ، الذي يقول : (إن الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحي من الميت ومحرك الميت من الحي ، ذلكم الله فأئِ تؤْفِكُون ) ( الأنعام : ٩٥ ) ، ظليكن على لساننا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، كلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : ( إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ) ( صحيح البخاري )

## محاضرات في فن التدريس

### للأستاذ الشيخ سعيد الأعظمي الندوبي

\* محمد معصوم سيفي الندوبي

مهنة التدريس لها أهمية بالغة في بناء الأجيال وإعداد الرجال ، وهو موضوع يحمل قدسيّة وعظمة بالغتين ، لا يستهان بقيمتها ، ولا شك أن رسولنا العظيم محمداً صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان معلماً ، وكانت غاية بعثته التعليم والتربية ، فأعد بحسن تربيته جيلاً كان مفخرة الزمان ، واستمرت التربية منذ عهد النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا ، وكل ذلك في ضوء التوجيهات القرآنية والإرشادات النبوية .

ومن هؤلاء المربين العالم الكبير الأديب الأربيب الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوبي ، له كتاب قيم حول هذا الموضوع باسم : محاضرات في فن التدريس ، وهو يشتمل على سبع عشرة محاضرة ألقاها سعادته في كلية التربية بدار العلوم لندوة العلماء خلال عام دراسي في دار العلوم لندوة العلماء في الثمانينيات من القرن المنصرم ، وكان قد أسنده إليه إلقاء المحاضرات على موضوع التعليم وفن التدريس ، نظراً إلى تجاربه وخبراته الواسعة لمهنة التعليم لعناته بخصائص نفسية التعليم وطرق التدريس .

يتخلّى الكتاب بنظرات مختلفة عن عملية التعليم ومقارنة بين آراء رجال التربية والتعليم ووجهاتهم النظرية من أعمالهم النهضة الفكرية في تاريخ الإسلام المسلمين الذين حملوا إلى الغرب أفكاراً نيرة اقتبس منها رجال الغرب .

وهذا الكتاب يشير إلى الأسس التي يقوم عليها التدريس ، والصفات التي يحملها المدرس الناجح ، ويستعرض العلاقة بين التعليم والتربية في ضوء التجارب التدريسية ، ويتناول الاعتبارات الحديثة في التربية الحديثة بالبيان والتمحيص ، ويبين منهجة التدريس ويسلط الضوء على طريقة التدريس وكيفية الجلب لاهتمام الطلاب وانتباهم ويبحث عن اللغة العربية ووظيفتها ومشكلات تعليمها في الهند .

فقد جمع الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي توجيهات وإرشادات قيمة حول موضوع العلم ، ولا شك أن مؤلف هذا الكتاب لا يزال يشغل منصب التدريس وتربية الطلاب في جامعة ندوة العلماء منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، فهو يستحق أن يفيد من آرائه التعليمية والتربوية ، ولا يستغنى عنه كل من يريد التطلع من معرفة فن التدريس ، والاطلاع على نواحيه والبراعة في مهنته ، وإنني على ثقة بأن هذا الكتاب سيكون منارة في سلسلة التدريس بإذن الله تعالى . صدرت طبعة حديثة ثانية له من دار القلم ، دمشق . والكتاب حاجة العصر ونداء الزمان ، وجدير بأن يكون لدى المعنيين بالتعليم والتربية .

\* طالب في السنة الأولى للتخصص في الفقه الإسلامي بجامعة ندوة العلماء .

## الرحلات الحجازية و منهاج كتابها في العصر الحديث للسيد محمد واضح رشيد الحسني الندوبي

محمد حمزة \*

كتاب ينوب عن آلاف من كتب، مؤلف، ويتترجم عن مآثر من أحاسيس وانطباعات، مجرد سماع اسمه يملأ القلب إيماناً ويقيناً، وقراءاته تذهب بالقارئ إلى رياض الجنة أو واحات العطاء والمنة، ودراسته تجسد عواطف دينية وحماسات إسلامية في الكلمات والتعبيرات، ذلك لأنها صدرت من قلب ونفثت من ريشة كلها إخلاص وتقى وحب وهيام.

الواقع أن هذا الكتاب يحث قام بإعداده الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوبي للتقديم في ندوة علمية بعنوان "الرحلات الحجازية في منظور التحديات الجديدة" عقدتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية في لاهور بباكستان في ٢٤ - ٢٥ أكتوبر عام ١٩٩٧ م.

ولا شك أنه يحتوي على أروع نماذج من الرحلات الحجازية أدباً وعلمًا، وعاطفة وخيالاً، وهي تبعث الأشواق إلى بيت الله الحرام ومدينة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، وتذكر الجمرة الإيمانية والحب الدفين في القلوب، ففي أول نموذج من تلك النماذج يصف الأديب الكبير على الطنطاوي (١٩٠٩ - ١٩٩٩ م) حالته حينما رأى أول مرة جبال المدينة، فيقول في أسلوب يتجلّى فيه صفاء العاطفة وحسن التعبير: "وثبت وثبة تطأير منها الآیاس والخمول عن عاتقى، وأحسست كأنه قد صب في أعصابي عزم أمة وقوة جيش، وجعلت أقفز وأصرخ لا أعي ما أنا فاعمل، وهذا الدكتور محمد إقبال، يقدم انطباعاته، تبرز فيه خصوبة الخيال ووفرة الحنين إلى المدينة المطورة، فيقول: "توجهت إلى المدينة رغم شيبى وكبر سني أغنى وأشد الآبيات في سرور وحنين، ولا عجب فإن الطائر يطير في الصحراء طول نهاره، فإذا أدرك نهاره وأقبل الليل رفرف بعجاجيه وقصد وكسره ليأوى إليه وبيت فيه"، فهذهان النموذجان من نماذج الرحلات الحجازية للأديباء الآخرين في الكتاب أمثال الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوبي (١٩٩١ - ١٩٩٩ م)، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٩٥٠ - ١٩٧٥ م)، ومحمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦ م)، وغيرهم، تمثل أصناف عاطفة وأصدق حب لأرض العجائز.

ولا شك أن القارئ إذا بدأ في قراءة تلك النماذج يجد فيها حلوة في تنوعها شيئاً فشيئاً، ويشعر كأن الأشواق تدب برفق في قلبه والعواطف تفمره بحب وحنين، ويخيل إليه خلال قراءتها أنه مرافق للأديب في رحلته إلى أرض الحجاز، يجتاز الوهاد والنجاد، ويعترفه بعض ما يعتري الأديب من متاعب السفر، ويجد نفسه تهتز فرحاً حينما لمج له القبة الخضراء من بعيد، وتزداد إيماناً إذا اكتحلت عيناه برؤية الكعبة المقدسة.

فلهذا الكتاب الفضل الكبير في إشعال الأشواق الفاترة وإشارة العواطف الحامدة، وكيف لا يكون ذلك مع أنه يتضمن أطهر حب فاض من القلوب وأخلص عاطفة بعثتها النفوس، فلتكن العواطف والمشاعر تذكر صافية ببرقة غير مزورة بالتكلف والتصنع حتى تكون أوقع أثراً في القلوب والنفوس. صدر الكتاب من دار الرشيد بلكانو (الهند)، وتحلى جيده بمقديمة من العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي حفظه الله ورعاه.

\* طالب في كلية الدعوة والإعلام بجامعة ندوة العلماء.

## فضيلة الشيخ المفتى محمد ظهور الندوى إلى رحمة الله تعالى

(١٩٢٨م - ٢٠١٦م)

باقلم : سعيد الأعظمي الندوى

كان من مواليد ١٩٢٨م من القرن المنصرم ، وبالغاً من العمر ٨٩ عاماً ، التحق بدارالعلوم لندوة العلوم في ١٩٤٤م ، وتحرج في الفقه الإسلامي بنبوغ فائق ، حتى عين مدرساً للفقه والإفتاء بدارالعلوم عام ١٩٥٢م ، فكان يستفيد في الموضوع من الأستاذ الكبير الشيخ محمد سعيد الأعظمي ، مفتى ندوة العلماء العام يومذاك ، وكانت له صلة القربي مع المفتى العام ، فعاش معه طوال بقائه في هذا المنصب العظيم للاستفادة ، ولما استأثرت به رحمة الله تعالى في عام ١٩٦٠م شغل منصب الإفتاء وتدرس العلوم الإسلامية في دارالعلوم ، وكتب الله له البراعة في الفقه والفتاوی حتى بلغت شهرته إلى الآفاق وبدأ طلاب الفقه الإسلامي يرتوون من منهله العذب .

عاش عيشة جلها تواضع وعدم اعتماد بالنفس ، ورغم أعماله العلمية والفقهية كان يسهم في كل عمل مما يحتاج إليه المسؤولون عن ندوة العلماء ، علمياً كان أو إنسانياً أو أسفاراً لطلب المعونة الشعبية لندوة العلماء وسد ضروراتها المالية ، وقد تحمل مسؤولية مطابخ طلاب دارالعلوم الساكنين في المساكن ، نزولاً إلى رغبة حضرات المسؤولين الكرام إلى مدة طويلة مضافة إلى أعماله العلمية والإفتائية ، فقدم مثلاً عملياً في التعاون على النظم فيها ، وإجاده وظائف الطعام والسكن للطلاب ، ومن ثم كانت له مساهمات في تنظيم الأمور ، ودقة الشعور بالمسؤولية حتى أضيف إلى مسؤولياته العلمية مسؤولية نائب المدير لدارالعلوم إلى مدة طويلة ، ثم نائب الرئيس العام لندوة العلماء ، واستمر على هذه الوظيفة إلى آخر يوم من حياته .

انتقل إلى رحمة الله تعالى فجر يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام لعام ١٤٣٧هـ الموافق ٢٥ من شهر سبتمبر عام ٢٠١٦م ، فإنما الله وإنما إليه راجعون ، وقد خلف وراءه مثلاً للعالم والفقير الديني المتواضع والمخلص والمحتب ، الذي يرجو من الله تعالى أن يسعده بالقبول والأجور .

وقد رأيته في كثير من المناسبات مما يتعلق بشئون من العلم والفقه ، وإخلاص العمل لله تعالى ، وتنظيم الأشراف وتعيين الدراسات لطلاب

دار العلوم ، فكان ذا رأي مترجم وسديد يكُون له أعمق الأثر في المستقبل ، وقد كان شديد الحب لندوة العلماء وتاريخها ورجالتها ، حتى إذا أراد أحد من الناس أن يخالفه في هذه النظرية أو يعارضه في مرميّاته نحو هذا التاريخ الفريد العلمي الجليل ، رد عليه بالدليل والبرهان وأقام عليه الحجة فيما كان يقول .

لما أقامت ندوة العلماء مهرجانها العلمي والتاريخي في عام ١٩٧٥م ، وقامت بإعدادات ضخمة لتوسيعة نطاق المهرجان علمياً وأدبياً وتاريخياً وفكرة وسطاً ، أسهם في هذا المجال مع زملائه بغاية من النشاط ، ولا سيما في المشاريع الإنسانية الازمة مما كان يتعلق بإقامة الضيوف واجراء ترميمات وتصلیحات في البناءات القديمة ، وفي إعداد مراافق لازمة لهم من وضع فهرس مناسب لما في الأكل والشرب والقطور من خلل المطبخ واختيار الطباخين البارعين في صناعتهم .

وبذلك كان مديرًا لقسم التعمير والترقي التابع لندوة العلماء ، فكان يشرف على جميع ما يتصل بهذا القسم من التخطيط والإدارة واستخدام العمال البارعين للمشاريع الإنسانية ، وتفويض المسؤوليات لكل عمل بين الموظفين في هذا القسم ، وخاصة في التوسيعة الثانية لجامعة دار العلوم التي قام بتخطيطها فضيلة الشيخ محمد معين الندوى رئيس هذا القسم الأعلى (رحمه الله تعالى) .

أما عمارته لكلية الشريعة وأصول الدين وإشرافه على معهد الإفتاء والقضاء ، فقد أنفذ في خدمتها جميع قواه العلمية والفقهية ، وسهر على إنجاز خدماته من غير انقطاع ، وكانت فتاواه التي أصدرها رداً على الأسئلة الفقهية والاستفتاءات التي كانت تترى إليه من جميع أنحاء البلاد ، ذات أهمية فقهية ولا سيما في المسائل المعاصرة والمشكلات العائلية والجماعية والحضارية ، ذلك أنه كان يتمتع بنظر ثاقب في هذا المجال وكانت آراؤه الإفتائية نابعة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة واجتهادات مقاييس كبار علماء الفقه من أعلام التاريخ .

واستمر كذلك على تدريس المواد الفقهية وكتب الفتاوى لطلبة دار العلوم لندوة العلماء ، وقام بتدريب المتخريجين من الدراسات العليا على أساليب الكتابة والرد على الاستفتاءات من بنایع الفقه الإسلامي ، وعلى دراسة المسائل والقضايا بطريق وسط تختاره الشريعة الإسلامية ، فكان أثيراً لدى سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوى رئيس ندوة العلماء سابقاً . (يرحمه الله تعالى)

وظل قائماً بهذا الواجب الديني وبأداء أمانة العلم والفقه ، ونشر كلمة الحق بغاية من التواضع والحلم ، والتورع والتفقه إلى آخر لحظة من حياته فكان يشدد في تنفيذ اللوائح الإدارية في السكن والصفوف في جماعات الطلاب ، وبالرغم مما أصيب به من أمراض الشيخوخة كان لا يقصر في التعاون على الشؤون التعليمية والإدارية ، ففي آخر أيام الحياة ومنذ عدة سنوات عين نائباً للرئيس العام لندوة العلماء وذلك بعدهما قام به من خدمات نائب المدير لدار العلوم إلى مدة طويلة وقد أدى الواجب نحو ذلك بكل دقة وأمانة ، ولم يؤثر الراحة على أداء المسؤولية في أي فترة من حياته حتى لبى نداء ربه فرحاً مستبشراً .

تعمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له زلاته وتقبل خدماته وأسكنه فسيح جناته ، وألهم الجميع الصبر على الحادث ، وقد انتشر نبأ وفاته بسرعة خارقة حتى اجتمع حشد كبير من المعزين والمصلين عليه من ملأوا ملعب طيبة دار العلوم الواسعة ولم يبق أي ناحية من رحاب دار العلوم إلا وقد اعمّر بكثرة زحام الناس ، أقرباء وأصدقاء ، وتلاميذ المعجبين به ، وقد صلى عليه سماحة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوبي ، وشيعت جنازته إلى مقبرة دالي غنج حيث واراه تراب القبر ، واستقبله الملائكة بالرحمة والمغفرة ، بمشيئة الله تعالى .

وفي اليوم التالي عقدت حفلة تأبين في جامع دار العلوم الكبيرة الواسعة الذي امتلأ بالعلماء والزوار والطلاب ، وألقى المناسبة سماحة رئيس ندوة العلماء العام كلمة عزى بها أبناء دار العلوم ، وطبقية العلماء والأساتذة ، وقد عدد محاسنه التي جمعها الله تعالى في الفقيد الفالي وقال فيما قال : إن الفقيد المرحوم المفتي الشيخ محمد ظهور كان جاماً لثلاثة جوانب من العمل : أولاً : الجانب العلمي والديني ، ثانياً : الجانب الخالي والسلوكي ، ثالثاً : الجانب العملي والإداري .

كان الفقيد قد صدق عليه ما جاء في حديث رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم حيث قال : (إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعوه ) .

كما أن عدداً كبيراً من أصحاب المدارس الملحقة بدار العلوم والمؤسسات والجمعيات عقدوا حفلات تعزية وتأبين على مستويات اعترافية بمحاسن وصفات الراحل الكريم ، فقيد العلم والدين رحمة الله تعالى وتقبل خدماته ويرد مرضجه ، وكتب له أحسن جزاء في الآخرة من جنات ونعم . (والله ولي المتقين)

إلى رحمة الله تعالى

(١) الأستاذ الشیخ عزیز الرحمن الندوی السیوانی في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الشیخ عزیز الرحمن الندوی السیوانی يوم الخميس /٣٠ من شهر ذی القعده لعام ١٤٣٧هـ الموافق /٣ من شهر سبتمبر ٢٠١٦م ، وذلك بعد ما أصيب بمرض عضال ، أقعده عن العمل ، فإنما لله وإنما إليه راجعون .

كان الأستاذ عزیز الرحمن السیوانی الندوی من مجموعة المدرسين في دارالعلوم لندوة العلماء ، فقد درس في دارالعلوم لندوة العلماء وتخرج فيها من مرحلتي العالمية والفضيلية ، ثم قدر له أن يعين مدرساً في ثانوية دارالعلوم حيث ظل قائماً على أداء واجبه إلى مدة طويلة ، وقد أراد خلال ذلك أن يد للحصول على شهادة الدكتوراة من جامعة لکھنؤ الرسمية في مادة الأدب العربي ولكن له لم يتمكن من ذلك ، فكان عالماً مطلاً على الأحوال والظروف ، ولكن أصيب أخيراً بمرض أفقده قوة العمل وأداء الواجب بطريق سليم بناء ، حتى اضطر إلى استمرارية العلاج والاستراحة حسب إشارة الطبيب المعالج ، وعلى ذلك سافر إلى موطن "سیوان" ورغم ما من المعالجة والاستراحة لم يقدر له الشفاء ، وغادر إلى دار القرار ، وبذلك حرم دارالعلوم أحد أبناء أسرتها العلمية .  
ونحن إذ نعزي أهله وأعضاء أسرته جمیعاً على هذا الحادث الفاجع ندعوا الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، ويفرج له زلاته ، ويسكنه فسيح جناته ، ولهم الجميع الصبر والسلوان .

(٢) الشیخ مقبول أحمد القاسمي الإله آبادي في ذمة الله تعالى

لقد كان نبأ وفاة الأخ الكريم الشیخ مقبول أحمد القاسمي نجل العارف بالله الشیخ الجليل محمد قمر الزمان الإله آبادي ليلة الجمعة /١٤ من شهر ذی الحجه ١٤٣٧هـ المصادف ١٧ من شهر سبتمبر ٢٠١٦م بعث أسف وحزن كثیرین في جميع الأوساط الدينية والمعرفية ، وفي المدارس والمراکز الإسلامية في الهند وخارجها ، فإنما لله وإنما إليه راجعون .

كان الراحل الكريم طريح الفراش ومعالجاً في المستشفيات الكبيرة في لکھنؤ ، وقد أشرف على علاجه عدد كثیر من الأطباء البارعين المختصين ، كما أن جماعة من العلماء الراسخین كانت مشغولة بالدعاء ، وطلب الشفاء له ، مع والده الرياني العارف بالله فضیلۃ الشیخ محمد قمر الزمان (خطبۃ الله تعالى) .

كان المرحوم أکیر أنجاله الكرام ، ومساعداً كبيراً له في أعماله العلمية والتربوية ، ومشروفاً على كثیر من الشئون الإدارية للمدرسة والأسرة والبيت ، ومن خلال ذلك كان محباً لدى والده العظيم ، الذي تأثر بوفاته وحزن على مفارقته ، وخاصة بالحادث الذي سيق حادث النجل العزيز ، وذلك أن حرم الشیخ وأم الأنجال الأعزاء كانت قد غادرت إلى رحمة الله تعالى قبل وفاته بمنة ، فكان الشیخ الجليل والد الشیخ مقبول أحمد المرحوم ، قد أصيب بصدمة كثیرتين ، ولكن الله سبحانه أکرمه بالصبر والثبات على الحادثتين وخاصة على وفاة نجله العزيز رحمة الله تعالى .

ونحن إذ نعزي فضیلۃ الشیخ الجليل العالم الرياني الكريم على الحادثين

كليهما، نبتهل إلى الله تعالى أن يغفر لهم بالرحمة والمغفرة ، ويكتب لهم الجنة والنعيم في الآخرة ويلهم الجميع الصبر والجميل . (والله ولي التقيين )

( ٣ ) الأستاذ محمد شفيع خان والد الدكتور رضي الإسلام الندوى إلى رحمة الله تعالى  
استأثرت رحمة الله تعالى بوالد الدكتور رضي الإسلام الندوى سكرتير الأكاديمية التأليفية للجامعة الإسلامية لعموم الهند ونائب مدير مجلة ( تحقیقات إسلامی ) الفصلية الصادرة من إدارة التحقيق الإسلامي في مدينة علي غراه الهند .

وقد كان الراحل الكبير أيام دراسة نجله العزيز الدكتور رضي الإسلام في دار العلوم لندوة العلماء يزوره حيناً بعد حين ويقيم أحياناً لديه كمشرف على دراسته ، فكان معروفاً لدى حضرات الأساتذة والطلاب المقيمين في رحاب دار العلوم يوم ذاك ، وقد كان حريصاً على البلوغ بنجله العزيز إلى مكانة عالية من العلوم والمعارف فحقق الله تعالى أمنيته وتخرج من جامعة ندوة العلماء والتحق ببعض مراكز الجماعة الإسلامية في دلهي وعليكراه ، حتى بلغ إلى أعلى درجة من العلم والأدب والدعوة إلى الله تعالى ، والكتابة في الموضوعات العلمية والدعوية ، وتأليف كتب مفيدة في مجال العلم والمعرفة .

ونحن بدورنا نعزي الدكتور رضي الإسلام الندوى وجميع أعضاء أسرته وأصدقائه ، ونتضرع إلى الله تعالى أن يتغمده بالرحمة ويففر له زلاته ، ويسكنه فسيح جنته ، وبتهمه وأهله الصبر والجميل على الحادث الفاجع . ( فإن الله مع الصابرين )

( ٤ ) والدة الأستاذ محمد فيضان الندوى التغرامي إلى رحمة الله تعالى  
انتقلت إلى ربها والدة الأخ الأستاذ محمد فيضان الندوى التغرامي المدير المساعد لمكتبة شباب العماني التابعة لندوة العلماء فجر يوم الجمعة ٢٧ / من شهر ذي الحجة لعام ١٤٢٧ هـ الموافق ٣٠ / من شهر سبتمبر ٢٠١٦ م ، عقب مرض أصابت فجاءة لم يقدر لها البرء رغم المعالجات في المستشفى ، واهتمام الناس بالدعاء لشفائها العاجل ، فإنما الله وإنما إليه راجعون .

كانت المرحومة من فضليات الأمهات الالئى قمن بتربية أولادهن على خلال الدين والخلق الحسن ، وهي التي بعثت في نجلها العزيز الأخ محمد فيضان الندوى دوافع خيرة على إنشاء مدرسة لتعليم و التربية الأولاد والبنات المسلمات في بلدة نفرام ، فكانت تهتم بهذه المدرسة وشئونها اهتماماً كبيراً ، وكلما اتسع نطاقها زادت فرحاً وسروراً ، وتتناول القائمين عليها بالتشجيع واخلاص العمل لله تعالى ، فكانت المدرسة في تطور وتقديم مستمر منذ مدة ماضية ، وقد ركز على توسيعة نطاقها تعليمياً وتربوياً نجلها العزيز محمد فيضان الندوى وأنشأ قسمًا لتعليم البنات ، فكان من الطبيعي أن يحزن حزناً شديداً على مفارقتها وحرمانه من توجيهاتها .

ونحن إذ نعزي الأخ العزيز الأستاذ التغرامي على هذا الحادث المفاجئ ، نبتهل إلى الله تعالى أن يكرمهها بالرحمة ويففر لها زلاتها ويتقبل صالح أعمالها ويسكنها فسيح جنته ، وبتهمه الجميع من الأهل والأقراء الصبر والجميل والدعاء الخالص للفقيدة ، رحمها الله تعالى .

( ٥ ) رحيل محمد كاشف ابن أخي الشيخ كفيل أشرف إلى رحمة الله تعالى  
توفي الأخ محمد كاشف ابن أخي الشيخ المرحوم محمد كليم أشرف من سكان

**لكتناؤ نتيبة لاصابته بالحمى الفيروزية الشديدة يوم السبت ، العاشر من شهر سبتمبر ٢٠١٦م الموافق ٧ / من شهر ذي الحجة ١٤٣٧هـ ، فإننا لله وإنما إليه راجعون .  
كان الراحل العزيز ابن أخ فضيلة الشيخ كفيل أشرف ، العالم والداعية المعروف في مدينة لكهنو الهند .**

كان والد المرحوم الشيخ محمد كليم أشرف قد انتقل إلى رحمة الله تعالى منذ مدة ، ونحن إذ نبدي أسفنا الشديد والحزن إبالغ على وفاة الشاب محمد كافش ، نتضعر إلى الله تعالى أن يجعله ذخرا وأجرا لأعضاء الأسرة ولفضيلة الشيخ كفيل أشرف ، ويلهمه والجميع الصبر الجميل ويوفق للدعاء له ولوالديه . ( فإنه سميع مجيب الدعوات )

#### ( ٦ ) الحاج قطب الدين في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الحاج قطب الدين والد الحاج فيض الدين سكريير هيئة أهل السنة لعموم الهند ، في غرة محرم لعام ١٤٢٨هـ الموافق ، ٣ / من شهر أكتوبر ٢٠١٦م ، كانت وفاته بطريق مفاجئ حينما كان متوجهاً إلى المسجد لأداء صلاة العصر ، فإننا لله وإنما إليه راجعون .

كان الراحل الكبير من الرجال الصالحين ، يحب العلماء جباراً جداً ، حتى لم يترك أنجاله ذكوراً وإناثاً إلا وقد علم الجميع علوم الدين ، والعمل بتعاليمه ، وذلك عمل عظيم يرضي الله سبحانه وتعالى بمشيئته ، ويوفر له من ذخائر الرحمة والمفيرة ما يحتاج إليه كل مسلم .

ونحن إذ نعزي أعضاء الأسرة ونجليه الحاج فيض الدين وال الحاج شيراز الدين ، نتضعر إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويفرق له زلاته ويسكنته فيسخ جناته ويلهم أهله الصبر والسلوان .

صلى عليه سماحة العالمة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي ، رئيس ندوة العلماء العام .

#### ( ٧ ) رحيل الشیخة مریم جلد الشیخ محمد حذیفة الوستانوی إلى رحمة الله تعالى

توفيت الشیخة مریم جلد الشیخ محمد حذیفة وأم حرم الشیخ غلام محمد الوستانوی يوم الجمعة صباحاً في ٥ / من شهر محرم لعام ١٤٢٨هـ الموافق ٧ / من شهر أكتوبر ٢٠١٦م ، بالغة من العمر ثمانين عاماً ، كانت من المربيات الصالحات وملتزمة بتعاليم الدين والأخلاق ، فكانت مثالاً للمجتمع الإنساني اليوم ، تقدمها الله تعالى بواسع رحمته وغفر لها زلاتها ، ووفق أنجالها ذكوراً وإناثاً بالدعاء لها ، وطابت الجنة والنعيم لها في الآخرة .

إننا نفرى على الحادث فضيلة الشیخ غلام محمد الوستانوی وفضيلة الشیخ الفتی عبد الله باتل ، والشیخ محمد حذیفة وجميع أعضاء الأسرة ، وندعوا الله تعالى أن يلهم الجميع الصبر على المصاب ، فإننا لله وإنما إليه راجعون .

#### ( ٨ ) والدة الأخ الشیخ عبدالله النیفانی المکی إلى رحمة الله تعالى

انتقلت إلى رحمة الله تعالى والدة الأخ الشیخ عبدالله النیفانی المکی في ٨ / من شهر محرم لعام ١٤٢٨هـ ، الموافق ١٠ / من شهر أكتوبر ٢٠١٦م ، وبعد معاناة من

المرض ، فإننا لله وإنما إليه راجعون .

والأخ الشيخ عبدالله رئيس جمعية السنة الخيرية في دولة نيفال ، ومدير جامعة القرآن في منطقة " إنروا " بمديرية سنسرى ، نيفال ، وله مشروع لإنشاء جامعة كبيرة لمسلمي نيفال ونواحيها ، وقد قام بإرساء الحجر الأساسي لها في حشد مهتم من علماء الهند ونيفال قبل مدة ، ويرجى أن ينال دعماً لهذا المشروع من بلاد المسلمين والعالم الإسلامي بمشيئة الله تعالى .

اهتمت والدته المرحومة بتعليم وتربية نجلها الشيخ عبدالله الذي تخرج من ندوة العلماء ثم توجه إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة حيث قضى وقتاً طيباً في كسب العلم والمعرفة ، وأحرز شهادة عالية في العلوم الإسلامية ، ويعمل الآن في مجال نشر العلم ... رحمة الله تعالى في بلده .

ونحن إذ نعزيه من صميم القلب ، نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمد المرحومة بالرحمة والمغفرة ، ويدخلها في جنات فنیم ، ويلهم الأهل وجميع أعضاء الأسرة وذويها الصبر الجميل ، والله يحب الصابرين .

#### (٩) فضيلة الشيخ محمد إسلام القاسمي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالشيخ محمد إسلام القاسمي ، أمير جماعة التبلیغ في مديرية مئو بجوار أعظم كراه ، بولاية أتابرايديش ، يوم الثلاثاء ٤ / من شهر أكتوبر ٢٠١٦ م المصادف ٢ / من شهر محرم ١٤٣٨هـ ، فإننا لله وإنما إليه راجعون .

كان الشيخ محمد إسلام القاسمي من خيار العلماء وصالحهم ، تميز بالتواضع والعمل الجاد في مجال الدعوة إلى الله من خلال مركز جماعة الدعوة والتبلیغ منذ أن تخرج من جامعة دارالعلوم ديويند ، كان من تلاميذ العالمة المحدث الكبير الشيخ حسين أحمد المدنی ( رحمه الله تعالى ) وقد نال التربية الدينية من العالم الريانی لكيبر الشیخ محمد أحمد البرتاغلي ( رحمه الله تعالى ) ، وقد أقام مدة للتربية على خلال الدعوة إلى الله لدى أمیر الجماعة العالم الجليل الشیخ إنعام الحسن الكاندھلوي .

كما كان مشرفاً على عدد وجيء من المدارس والكتاتيب بجوار بلدة مئو ، فكان مثلاً للناس في الجمع بين العلم والدعوة والتواضع والعبادة ، وقد أخبرنا بذلك فضيلة الشيخ أبصار الحق القاسمي مؤسس مدارس فاران لتحفيظ القرآن ، والمعهد الإسلامي والمركز الإسلامي والمستشفى العام في بلدة مئو ، وهو من علماء البلد وله نشاطات كبيرة في العمل الإسلامي من جميع الجهات ، وله اهتمامات في نشر العلم والدين والدعوة والتربية ، له علاقة خاصة بالعالم الريانی والعارف بالله الشیخ محمد قمر الزمان الإله آبادي حفظه الله تعالى .

سببت وفاته فراغاً في هذا المجال وكانت خسارة للعلم والدين والدعوة ، وقد تجاوز المرحوم من العمر ثمانين حوالاً .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل على هذا المصايب . ( وهو على كل شيء قادر )